AFRICA
Seen by
AMERICAN NEGROES
"أفريقيا"
كما يراها
الزنوج الأمريكيون
PRESENCE AFRICAINE

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة أ.د/القطب محمد القطب طبلية

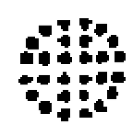
القاهرة



"أفريقيا"

كما يراها

الزنوج الأمريكيون



"AFRICA"

SEEN BY

AMERICAN NEGROS

1958 — ١٩٥٨

مقـــــدمة

تكونت الجمعية الامريكية للحضارة الافريقية منــذ أكثر من سنة ١٩٥٨ تقريبا بواســطة الاعضــاء الذين حضروا المؤتمر الاول للـكتاب والفنــانين الزنوج ·

وعندما حضر أليون ديون Alion Diop الى أمريكا فى أوائل ربيع عام ١٩٥٧ اقترح أن تقوم الجمعية بطبع مجلدين عن « أفريقيا » وهما :

١ ـ أفريقيا كما يراها الزنوج الامريكيون ·

٢ ـ مشكلة الزنوج في أمريكا فى نظر الزنوج الامريكيين ·

وتنفيذا لهذا الاقتراح ظهر المجلد الاول عن « أفريقيا كمــا يراها الزنوج الامريكيون » وقد طلب من كل زنجى أمريكى اشتغل فى الحقل الافريقى أن يساهم فى هذا المجلد حتى يمكن تمثيل جميع وجهات النظر فى الـكتاب ، حتى تلك التى لا تتفق مع آراء الجمعية ·

ومن الواضح أن الجمعية لا تتفق مع فرازير Frazier الذى يرى أنه ليس لدى الزنوج الامريكيين مايساهمون به فى نهضة أفريقيا ، لانه لو كان الامر كذلك لما كان هناك داع من تكوين هذه الجمعية ·

عرض سريع لمحتويات الكتاب

يتكون الكتاب من ثلاثة أقسام رئيسية ، ويشتمل كل قسم على مجموعة من المقالات بقلم نخبة من الكتاب .

القسم الاول :

تحليل الجماعات الأفريقية

خصص هذا القسم لتحليل الجماعات الافريقية ، واشترك فيه مجموعة من الاخصائيين الاجتماعيين الذين تركزت دراساتهم على محاولة الوقوف على الكيفية التى تعمل بها هذه الجماعات ولاى غرض تعمل ، ويشتمل على الموضوعات الآتية :

الموضوع الاول : تقيم الجماعات الافريقية بقلم سانت كليردريك St. Clair Drake يقترح الكاتب سياسة جماعية مرسومة من أجل خلق القيم الاجتماعية .

الموضوع الثاني : بزوغ القوميات والاحزاب فى غرب أفريقيا البريطانية بقلم مارتن كلزن Martin Kilson ويعزو الكاتب ظهور القومية فى غرب أفريقيا البريطانية الى الطبقة المتوسطة وطبقة العمال . ويتساءل عما اذا كانت تلك العناصر التى تملك القوة الآن قادرة على العمل من أجل مصالح المجموعة .

وقد أظهر الكاتب شيئاً من القلق نحو ميل الطبقات الحاكمة فى نيجيريا الى التنازع السياسى .

الموضوع الثالث : الطليعة النيجيرية بقلم هف سميث Hugh H. Smythe يصف طبقة العهد الجديد فى نيجيريا مع التنبؤ بسلوكه ، وينهى تحليله باثارة مجموعة الاسئلة يتوقف نجاح العهد الجديد على الاجابة عليها .

الموضوع الرابع : المعتقدات الافريقيـة المحلية بقلم ويليـام هانزبرى William Hunsberry يهدم الخرافات القديمة ، ويبرهن على أن الجماعات الافريقية انتجت معتقدات دينية وكونية تشابه تلك التي أخرجتها الحضارة الغربية ٠

الموضوع الخامس : الحاضر الافريقي في العالم الجديد خاصة فى الفنون بقلم تيرنر Lorenzo D. Turner أكد المكاسب الحضارية للجماعات الافريقية وخاصة فى اللغات والادب الشعبى والفن والرقص والاكل والموسيقى ٠

* * *

القسم الثاني :

الفن والرقص والأدب الأفريقى

يتناول هـذا القسم الفن والرقص والادب الافريقي وتتجـلى فيـه روح الكبرياء والحساسية والاعتزاز بالنفس ٠ويشتمل على الموضوعات الآتية :

الموضوع الاول : صناعة النحت الافريقي بقلم نيوتن هلJ. Newton Hill بين الكاتب الاثرالعالمى لهذه الصناعة ويتجلى ذلك فيلوحات وشعر البرازيل وهايتي ، وموسيقى ورقص كوبا والموسقى الزنجية فى الموسيقى والاغانى الامريكية ، وفى أشغال الحديد والخزف فى جنوب أمريكا ٠

الموضوع الثاني : الفن الباكوبى Bakuba في المعرض العالمي فيبراسيل Brussels بقلم يوجين جريجسبى J. Eugene Grigsby Jr. يوضح المؤلف أسس الجمال فى الفن الافريقي والذى يقدره الجميع ، وأثر ذلك فى الفن الغربى ٠

الموضوع الثـالث : الروابط المشتركة فى الفن الآفريقى الزنجي بقـلم جيمز بورتر James A. Purter اتبع أسلوب Turner فى القاء الضوء على أهمية الفن الافريقى العـالمية والتى تتجلى فى مخططات ســورنيام اليدوية Surinam

الموضوع الرابع : الرقص الافريقى بقلم بيرل بريموسPearl E. Primus

توضح الكاتبة كيف أن الرقص الافريقي يرتبط بالعقيدة الافريقية ، وكيف أنهما معا يرتبطان بالبيئة الافريقية وتأثير الرقص في حيويته وارايقاعه على الرقص في أمريكا والبرازيل وكوبا .

الموضوع الخامس : اتجاهات الشعر الافريقي بقلم صمويل ألن Sameul W. Allen يتميز الشعر الافريقي بشخصيته المستقلة في أسلوبه وأوزانه ذات الطابع الافريقي . ويتغنى الشعر الافريقي بالقيم الانسانية القديمة التي هدمها المستعمرون ، وبطهارة الماضي قبل مجيء الغزاة . ثم يتناول الطبيعة والروح والألم والظلم والانفعال .

الموضوع السادس : الضحكة الاخيرة بقلم ميدسركوك Mercer Cook يتناول القصصيين الافريقيين وكيف أن الفن القصصي الافريقي نما وتطور لكي يصبح سلاحا ضد الاستعمار والعنصرية .

* * *

القسم الثالث :

علاقة الزنوج الأمريكين بأفريقيا

يناقش هذا القسم مشاعر الزنوج الامريكيين نحو أفريقيا السوداء ، ويوضح أن الزنوج الامريكيين كانوا أول من وجه الاهتمام الى المنح الدراسية في الحقل الافريقي .

ويشتمل على الموضوعات الآتية :

الموضوع الاول : وجهة نظر الزنوج الامريكيين نحو أفريقيا بقلم لوجان Rayford W. Logan يرى أن الزنوج الأمريكيين اشتركوا مع حزب NAACP في الدعوة لوحدة أفريقيا ، وأنهم كافحوا نصف قرن من أجل آمال الافريقيين وأشار الى مجهودات رالف بانش في هذا الصدد عن طريق منظمة هيئة الامم المتحدة .

الموضوع الثاني : اهتمام منظمة NAACP بأفريقيا : بقلم ايفي James W. Ivy تكفل حزب NAACP بأول مؤتمر وحدوي أفريقي عقد في باريس عام ١٩١٩ . وفي الشهر التالي من نفس السنة أقام حفلا كبيرا عن

أفريقيا عقد فى صالة كارينجى Carnegie Hall فى نيويورك • ثم عقد مؤتمر وحدة أفريقيا عام ١٩٢١• وقد كان لهذا كله أثر كبير فى خلق ليبيريا وأثيوبيا •

الموضوع الثالث : تكوين الشباب الافريقى : بقلم بوند Horace Mann Bond يعتقد الكاتب أن أزيكوى هو الذى توج كفاح الزنوج الطويل بنجاحه فى احلال الزنوج فى هيئة التدريس بجامعة لنكولن • وفى المطالبة بالديمقراطية الكاملة للزنوج الامريكيين أثناء الحرب الثانية •

الموضوع الرابع : أثر الزنوج الامريكيين على تقدم الجماعات الافريقية : بقلم فرازير Franklin Frazier يعتقد الكاتب أنه ليس هناك شىء ذا قيمة يستطيع أن يساهم به الزنوج الامريكيون من أجل أفريقيا مساندا بذلك هؤلاء الرسميين الامريكيين الذين يرفضون منذ زمن بعيد استغلال الزنوج الامريكيين فى البعثات الاجنبية الخارجية• ويخالف كثير من الزنوج الامريكيين هذا الرأى ويسوقون على ذلك الادلة •

الموضوع الخامس : تجارة الولايات المتحدة وأفريقيا بقلم هوارد Lawrance C. Howard يستعرض الكاتب تجارة أمريكا مع أفريقيا واستغلال رءوس الاموال الامريكية ، ويبين أن قليلا من الامريكيين هم الذين وجدوا طريقهم الى أفريقيا السوداء فى حين أن المستعمرين البيض هم الذين فازوا بنصيب الاسد ويليهم فى ذلك أفريقيا المسلمة • أما الافريقى المحلى فلم يستفد شيئا على الاطلاق من التجارة والتمويل الامريكى •

ونظرا لان هذا الكتاب تتناول القارة الافريقية من زوايا مختلفة وهى :

الفن ـ الاجتماع ـ السياسة ـ الاقصاد •

نكتفى بالتلخيص السابق بالنسبة للموضوعات الثانوية تاركين للقارىء فرصة الرجوع الى الكتاب اذا رأى الاستزادة من هذه الموضوعات •

أما الموضوعات ذات الاهمية فقد ترجمت بأكملها فى الصفحات التالية وهى :

١ ـ بزوغ القوميات والاحزاب فى غرب أفريقيا البريطانية •

بقلم : كلزون Martin Kilson

٢ ـ الطليعة النيجيرية •

بقلم : هف سميث Hugh H. Smyth

٣ ـ تكوين الشباب الافريقى •

بقلم : هوريس مان بوند Horace Mann Bond

٤ ـ أثر الزنوج الامريكيين على تقدم الجماعات الافريقية •

بقلم : فرنكلين فرايزر Franklin Frazier

٥ ـ أفريقيا من وجهة نظر الزنوج الامريكيين •

بقلم : ريفورد لوجان Rayford W. Logan

٦ ـ اهتمام منظمة الجمعية الوطنية لتقدم الزنوج (NAACP) بأفريقيا

National Association for the Advancement of Colord People

بقلم : جيمز ايفى James W. Ivy

٧ ـ تجارة الولايات المتحدة وأفريقيا •

بقلم : لورينس هوارد Lawrence C. Howard

٨ ـ بزوغ المنظمات القومية والاحزاب فى غرب أفريقيا البريطانية •

بقلم : مارتن كلسون Martin L. Kilson Jr.

تقديم الكاتب

بعد حصول الكاتب على الدكتوراه ، عين على منحة حكومية للتدريس فى جامعة هارفارد .

نشر عدة مقالات عن :

١ ـ سياسة التمليك .

٢ ـ كيكويويو Kikuyu فى كينيا .

٣ ـ القومية الافريقية .

٤ ـ محتويات الطبقة الاجتماعية للقومية الافريقية .

وقد نشرت هذه المقالات فى الجرائد الآتية :

1 — The Journal of Negro History

2 — The Western Political Quarterly

3 — World Politics

4 — The Journal of Politics

تقــديم المقال

تعتبر حركة الزنوج من أجل الحرية والمساواة، من بين الحركات السياسية والاجتماعية التي فرضت نفسها في القرن العشرين • بدأت الحركة عام ١٨٩٦ في كل من أمريكا وغرب أفريقيا في آن واحد ، وذلك على يد Dr. W. E. Burghardt Du Bois في أمريكا ، Mr. Joseph Hayford في الساحل المقابل للاطلنطى في غرب أفريقيا • وعلى الرغم من أن هذا المقال ينصب على حركة الزنوج فى غرب أفريقيا ، الا أنه يجب التنويه الى أن هذه الحركة كانت جزءا من الحركات الشاملة التى قام بها الزنوج فى كل مكان •

وضعت أول لبنة فى أساس القومية الافريقية ، مع الاستعمار الاوروبى خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، والذى شمل تقريبا جميع بلاد أفريقيا الاستوائية • وقد بدأ ظهور القومية على صورة كفاح من أجل الحكم الذاتى والاستقلال فى دول آسيا ، ثم امتدت بعد ذلك الى أفريقيا •

ومن خلال انتشار التعليم ، اعتنق الملايين من الافريقيين الحياة الغربية ، والافكار السياسية ، وتبع ذلك محاولة تطبيق هذه المظاهر من أجل تقــدم جماعاتهم •

وبظهور الانتاج الزراعى فى الاسواق العــالمية ، ونمو التجارة وأعمــال المناجم ، اهتزت الجماعات الافريقية من جذورها ، وانفصل الكثير من الافراد عن جماعاتهم للاشتغال بالتجارة ، وزراعة الكاكاو ، أو الاشتغال بالاجر ، وغير ذلك من الحــرف والمهن • وقد نتج عن ذلك ظهور المنظمــات القومية والاحزاب السياسية •

ويتناول المقال بكثير من الاهتمام : المبادىء السياسية ، وبرامج المنظمات القومية فى غرب أفريقيا ، من حيث كيانها السياسى ، وأسسها الاجتماعية، وقياداتها ، ودورها وخططها من أجل العمل السياسى •

١
المنظمات السياسية المبكرة فى غرب أفريقيا
١٨٩٧ ــ ١٩٤٥

جمعية المحافظة على حقوق المواطنين :

أنشئت هذه الجمعية في ساحل الذهب، وكانت من أولى المنظمات السياسية فى غرب أفريقيا ، وقد وقع ساحل الذهب تحت مجموعة من المؤثرات أهمها:

١ ـ الثقافة الغربية :

شقت الثقافة الغربية طريقها الى ساهل الذهب فى عهد مبكر :

أسست مدرسة الارسالية الالمانية فى كريستبرج Christen borg عام ١٧٢٢ ٠

افتتحت مدرسة الارسالية الانجليزية فى كاب كوست Cape Coast عام ١٧٦٦ ٠

أنشأت جمعية تبشير بازل مدرسة فى ساهل الذهب عام ١٨٢٧ ٠

وصلت عدد المدارس التبشيرية فى جميع أنحاء البلاد عام ١٨٨١ الى ١٣٩ مدرسة ٠

٢ ـ الاقتصاد الغربى :

نشط الاقتصاد الغربى فى ســاهل الذهب فى النصف الاخير من القرن الخامس عشر ٠ وقد وصل انتاج مناجم الذهب فى الفترة بين عام ١٤٨٣ وعام ١٩٠٣ الى ما يقدر بمبلغ ٢٠ مليون جنيه ٠

وفى نهاية القرن التاسع عشر، برزت طبقة متوسطة من التجار الافريقيين، وجمعت قدرا لابأس به من الثروة، فمثلا لوحظ أن بعض الوطنيين الافريقيين حصلوا على فوائد عن حساباتهم فى البنك البريطانى فى غرب أفريقيا بما يتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف من الجنيهات ٠

٣ ــ نظام الحكم :

كان لساحل الذهب قصب السبق فى التنظيم الحكومى ، فقد انفصلت فى الادارة الاستعمارية عن سيراليون عام ١٨٥٠ ، وتكون بها مجلسان للادارة والتشريع ٠ وفى عام ١٨٨٨ حصلت الطبقة المتوسطة الافريقية على أول تمثيل لها فى المجلس التشريعى فى شخص أحد التجار الناجحين فى مدينة كاب كوست ويدعى John Sarbah ٠ وفى نهاية القرن العشرين تمكنت طبقة الافريقيين فى ساحل الذهب من انتزاع الاعتراف بشخصيتها من الادارة الاستعمارية ، مما كان له أبلغ الاثر فى الحياة السياسية ٠

وفى عام ١٨٩٧ تقدم حاكم ساحل الذهب Sir William Maxwell الى المجلس التشريعى بمشروع قانون عن التمليك ، وكان هذا الاقتراح سببا فى مولد أول منظمة سياسية أساسية فى غرب أفريقيا ٠ كان الغرض من هذا القانون هو تنظيم التصرف فى أراضى القبيلة التى يسيطر عليها الرؤساء التقليديون ، وبذلك يمكن تشجيع الاستقرار باعطاء واضع اليد الضمانات ضد الشخصيات القبيلية ٠ نظر الرؤساء والطبقة المتوسطة الى هذا القانون بمثابة تعد من الحكومة الاستعمارية على حرمة عرف التمليك الوطنى ٠ وفى سبيل مقاومة هذا القانون تكاتفت طبقة الرؤساء مع الطبقة المتوسطة على تكوين جمعية المحافظة على حقوق المواطنين ٠ وقد ساهم الرؤساء بأموالهم، وساهمت الطبقة المتوسطة (محامون وصحفيون وتجار) بمجهوداتها وخبرتها فى ادارة الجمعية ٠ وعلى الرغم من أن طبقة الرؤساء قد مارست تأثيرا قويا على سياسة ونشاط الجمعية عن طريق نفوذها المالى ، الا أن الطبقة المتوسطة على أى حال لم تكن عميلة لطبقة الرؤساء حيث أنه كان لها تأثيرها المستقل على سياسة الجمعية ونشاطها ٠ فقد امتد نشاط الجمعية الى العناية بالتعليم الوطنى ، خاصة التدريب الزراعى والعلمى والصناعى ٠ كما أن الجمعية أوضحت كيف أن الاستعمار يقف حجر عثرة فى سبيل تقدم البلاد٠

وقد أثبتت الحوادث فيما بعد أن الافكار السياسية والاجتماعية التى اعتنقتها الطبقة المتوسطة فى الجمعية كانت سابقة لاوانها ٠ فلم يكن للجمعية

أو أى تنظيم أفريقى آخر فى ذلك الوقت المقدرة على تغيير الحقيقة السائدة آنذاك وهى أن الاستعمار على استعداد للتسليم • وعلى أى حال فان هــذا الظرف لم يحد من نشاط الجمعية ضد الاستعمار كما سيتضح فيما يلى :

عندما فشلت جهود الجمعية فى اقنــاع الادارة الاستعمارية بالعدول عن مشروع Max Well ، أرســلت وفدا فى أوائل عام ١٨٩٨ مــكونا من خمسة أعضاء الى سكرتير وزارة المستعمرات Mr. Chamberlain الذىوافق على وجهة نظرهم وأمر باستبعاد المشروع المقترح من المجلس التشريعى •

قامت الجمعية بمجهود ممــاثل عام ١٩١٠ ــ ١٩١٢ عندما تقــدم خليفة Max Well وهو Mr. Thornton الى المجلس التشريعى بمشروع قانون عن الغابات للمحافظة عليها من الاندثار • فقد أرسلت الجمعية وقتئذ وفدا الى لندن ساهم فى تمويله الرؤساء بمبلغ ٤ آلاف جنيها • وقــد أرجأت وزارة المستعمرات المشروعنتيجة لذلك ، لحين دراسته على الطبيعة بواسطةمندوبها الذى أرسلته الى هناك Sir H. Belfield وقد وصل المندوب الى هناك ليجد آلاف الشكاوى فى انتظاره ، الامر الذى اضطره الى الامر بسحب المشروع •

وفى الفترة من ١٩٣١ الى ١٩٣٤ قامت الجمعية بضغط سياسى كبير ضد محاولات الحكومة فيما يختص بتشريعات ضريبة الدخل •

ونتيجة لمهارة الجمعية فى الاثارة والتمثيل ، اعترفت الحكومة بها كمنظمة مفيدة يمكن الاسترشاد برأيها فيما يتعلق بالشئون التى تمس المصــالح الافريقية • ولكن هذا الاعتراف لم يدم طويلا ، فقد قام عام ١٩١٦ الحاكم البريطانى Sir Hugh Clifford بزيادة المجلس التشريعى لكى يشمل تسعة أعضاء منهم ستة أفريقيين ثلاثة من الرؤساء وثلاثة من المثقفين •

وفى عام ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، زيد عدد الافريقيين فى المجلس التشريعى الى تسعة كلهم منتخبون ، بحيث ينتخب ثلاثة منهم بالطريق المباشر (واحد لكل من أكرا Accra ، كاب كوست Cape Coast ، سيكوندى Sekundi) وهؤلاء يمثلون الطبقة المتوسطة • أما الستة الآخرون فينتخبون بالطريق غير المباشر بواسطة مجالس المديريات وهؤلاء يمثلون طبقة الرؤساء • بهذه الطريقة أصابت الحكومة الاستعمارية عصفورين بحجر واحد ، فقد أرضت الطبقة المتوسطة لحد ما ، وحطمت فى نفس الوقت التأثير السياسى لهــذه الطبقة من خلال ممثلى مجالس المديريات من طبقة الرؤساء •

وهكذا استدرجت الحكومة طبقة الرؤساء الذين كانوا يقفون فى صفوف المعارضة سابقا ، وعزلتهم عن الطبقة المتوسطة ، لكى تضربهم بها وبذلك تظل محتفظة بسيطرتها ٠

نتيجة لذلك أزيل أحد العناصر المهمة من الجمعية وهى طبقة الرؤساء ، الذين بوضعهم الجديدأصبحوا يمثلون مآربهم الخاصة لدى الحكومة ٠ وحفظا لكيان الجمعية ، انحنى عدد قليل من الطبقة المتوسطة للوضع الجديد ، ومع ذلك فان أيام الجمعية أصبحت معدودة ، فقد توقف نشاطها السياسى بعد الحرب العالمية الثانية بواسطة المجلس الوطنى لغرب أفريقيا البريطانية ٠

المجلس الوطنى لغرب أفريقيا البريطانية :

فى خطاب للجمعية الافريقية (الجمعية الملكية الافريقية بعد ذلك) فى لندن بتاريخ ٢٨ مارس سنة ١٩١٩ ، حث Sir Harry H. Johnston (المستكشف والاستعمارى البريطانى) الجمعية الى ضرورة بذل الجهود نحو تفهم الامور السياسية فى الشئون الافريقية ، ولفت النظر الى ظاهرة بارزة فى أفريقيا أطلق عليها « القومية » ٠ وقد نبه الى أنه لمقاومة قوى أوروبا الوسطى ابان الحرب العالمية الاولى ، فانه يجب على بريطانيا وحلفائها أن تخطب ود الدول الصغيرة ذات الاستقلال المسلوب ، والتى تكافح ضد ظلم الحكم الاجنبى ٠ قال أيضا « ان دعاية الحلفاء أثارت كوامن القومية فى شمال أفريقيا وشمال نيجيريا وسيراليون وساحل الذهب وجنوب زامبيزى Zambezi ٠ لقد أصبح الحكم والتسلط الاوروبى مثار تساؤل فى كل مكان ، وظهرت علامات التذمر من قوى الحكم الاوروبى » ٠

ولقد كانت أول البوادر السياسية فى فترة بعد الحرب ، والتى تخيلها Sir Harry H. Johnston بالقومية ، تلك القومية التى كانت تصبو الى ازالة الحكم الاستعمارى للزنوج أو القارة السوداء ، كانت هذه البوادر هى حجر الاساس فى بناء المجلس الوطنى لغرب أفريقياالبريطانية فى مارس عام ١٩٢٠ ٠ وبعكس « جمعية المحافظة على حقوق المواطنين » السالفة الذكر تميز المجلس الوطنى بالمظاهر الآتية :

تكون المجلس الوطنى بأغلبية الطبقة المتوسطة الافريقية ٠ وقد أشار الى ذلك فى أحد الاجتماعات Mr. Casely - Hayford أحد مؤسسى وقادة المجلس الوطنى فى اكرا بتاريخ ١١ مارس عام ١٩٢٠ اذ قال « ان المجلس تكون بواسطة صفوة غرب أفريقيا البريطانية ، كضرورة لوضع مطالب وآمال الشعب أمام الحكومة حتى يمكن تحقيقها على أحسن وجه » ٠

يمثل الحزب جميع أفريقيا، فعلى الرغم من ولادة المجلس الوطني فى ساحل الذهب الا أن عضويته شملت جميع المناطق فى غرب أفريقيا البريطانية • وقد تفرعت هذه الظاهرة من وحدة الشعور بين جميع الطبقات المتوسطة فى غرب أفريقيا • كما تفرعت أيضا من ظهور « حركة أفريقيا للجميع » التى انضم اليها عدد كبير من الطبقة المتوسطة فى غرب أفريقيا •

وربما كانت حركة أفريقيا للجميع هى أول محاولة جوهرية لربط كفاح جميع الزنوج من أجل الحرية والمساواة لصالح الجماعة الحديثة •

وقد كان النداء الذى صدر من أول مؤتمر عالمى لهذه الحركة الذى عقد فى باريس بتاريخ ١٩ـ٢٢ فبراير سنة ١٩١٩ ربما كان هذا النداء من العوامل الهامة التى ساهمت شيوع النداءات النموذجية للقومية الافريقية فى جميع أنحاء أفريقيا بصفة عامة ، وفى غرب أفريقيا بصفة خاصة • وهذا نص النداء :

« جميع الأشخاص الذين ينحدرون من أصل أفريقى متحضرون وقادرون على اجتياز الامتحانات فى البيئة المحيطة بهم • ويجب أن يكتسبوا نفس حقوق مواطنيهم ، وألا يحرموا بحجة العنصر أو اللون من المساواة فى الحكم والعدالة الاقتصاد والحياة الاجتماعية » •

وقد أصبح المجلس الوطنى لغرب أفريقيا محط الآمال من أجل صيانة آمال ومثل حركة أفريقيا للجميع ، وكوسيلة لفرض التغييرات الديمقراطية على الحكومة الاستعمارية •

وقد ارسيت مقاييس هذه المطامع فى المؤتمر التأسيسى للمجلس الوطنى وظهرت معالمها فى شتى المناسبات • وقد أتيحت الفرصة لذلك خلال زيارة وفد مكون من تسعة ممثلين للمجلس لسكرتير وزارة المستعمرات فى لندن (١٩٢٠ ــ ١٩٢١) ، فقد عقد أعضاء الوفد سلسلة من الاجتماعات بالشعب البريطانى ، حيث خطبوا تباعا فى تلك الاجتماعات وأوضحوا وجهة نظرهم، وحاجتهم الى التعليم العالى • وفى احدى هذه الاجتماعات أخبر Mr. Casely Hayford مستمعيه بالحقائق التالية :

« ان الوطنيين فى غرب أفريقيا حتى الحاصلين على شهادات عليا من الجامعات الاوروبية ، لا يسمح لهم بشغل مناصب حسنة فى الادارة المدنية ، وأن المواطنين المؤهلين مثل الاطباء محرومون من ممارسة المهنة بسبب لونهم» •

وفى اجتماع آخر أخبر Mr. T. Hutton-Mills مستمعيه فى لندن :

« اذا كانت وجهة نظر الرسميين هى أن الافريقيين غير أكفاء لتولى المناصب الرئيسية فى الادارات المدنية ، اذا كانت وجهة نظرهم هذه صحيحة ، فان الحكومة الاستعمارية ملزمة بانشاء جامعة غرب أفريقيا البريطانية لتخريج المدربين على تولى المناصب الرئيسية فى الادارة المدنية » .

ومن المطالب الجوهرية التى تقدم بها المجلس الوطنى الى سكرتير وزارة المستعمرات فى مفاوضات يناير سنة ١٩٢١ :

١ ــ تعيين نصف أعضاء المجلس التشريعى بواسطة الحكومة ، وانتخاب النصف الآخر بواسطة الشعب .

٢ ــ انشاء مجلس العموم يتكون من أعضاء المجلس التشريعى بالاضافة الى ستة ممثلين ماليين ينتخبهم الشعب . وللمجلس سلطة فرض الضرائب، ومناقشة ميزانية الحاكم العام بحرية ودون تحفظ والموافقة عليها .

٣ ــ تشتمل التعديلات الانتخابية على الممثلين الاوروبيين والافريقيين على حد سواء .

٤ ــ تكوين مجالس محليــة فى جميع المدن الرئيسية على أن ينتخب ٤/٥ أعضائها بواسطة دافعى الضرائب ، ويعين الخمس بواسطة الحكومة .

وكما نوهنا سابقا أن المطالب السياسية لجمعية المحافظة على حقوق المواطنين منذ ٢٠ عاما كانت سابقة لاوانها ، فان مطالب المجلس الوطنى كانت لحد ما سابقة لاوانها . لذلك رفضها سكرتير المستعمرات Lord Milner بوقاحة، بحجة أن هذه المطالب غير ناضجة ، وقد شجع ملنر على هذا الرفض العوامل الآتية :

(أ) عداوة المستعمرين المحليين المتزايدة للنشــاط السياسى للطبقــة الافريقية المتوسطة .

(ب) قبيل وصول وفد المجلس الوطنى الى لنــدن ، أخبر كل من حاكم نيجيريا وحاكم ساحل الذهب تباعا سكرتير المستعمرات ، أن وفد المجلس الوطنى لا يمثل بحــال من الاحوال الجمــاعات والوطنية ، الذين يدعون التحدث بالنيابة عنهم .

(ج) عداوة الحكام التقليديين المتزايدين لسياسة الطبقة الافريقية المتوسطة ، فقد أبرق عدد من رؤساء ساحل الذهب الى لورد ملنر ما يفيد عدم تمثيل الوفد للشعب ولاللحكام • وقد تجلى هذا العداء في الهجوم القاسى الذى وجهه Sir Nana Ofori Atta الى المجلس الوطنى فى المجلس التشريعى لساحل الذهب حيث قال :

« ان اعاء حفنة من المحامين المثقفين والاطباء بأنهم يمثلون الشعب بدلا من رؤسائهم يعتبر تجريدا لهؤلاء الرؤساء من وطنيتهم » •

وقد كان لفشل الحزب الوطنى فى فرض ضغطه السياسى على الاستعمار، أثر كبير فى فقد سلاحه والتقليل من أهميته • وعلى أى حال ، فقد التقطت صحافة غرب أفريقيا وخاصة فى نيجيريا تلك المطالب وتناولتها بدرجة قليلة من النجاح •

وفى ربيع عام ١٩٢١ بدأ حاكم نيجيريا Sir Hugh Clifford فى تغيير شعوره تجاه الطبقة الافريقية المتوسطة ومطالبها السياسية ، واقترح على وازرة المستعمرات النظر فى تلك المطالب • وفى خلال سنة تم التسليم ببعض مطالبهم بأمر دستورى الى المجلس فى نيجيريا وبأمر شابه لمجلس ساحل الذهب فى عام ١٩٢٥ •

وقد حددت هذه الواقعة مرحلة جديدة من مراحل بزوغ القومية فى غرب أفريقيا البريطانية ، فقد بنيت الاحزاب السياسية على أسس اقليمية محددة (نيجيريا ــ ساحل الذهب ــ سيراليون وهكذا ••) ، وتلاشت قومية الحكم الذاتى لغرب أفريقيا •

وهنا تأتى باختصارالمقدمة الى موقفجديد فيتاريخ شعوب غرب أفريقيا، ألا وهو بزوغ الشعور القومى نحو دولا وطنية محددة •

الحزب الوطنى الديموقراطى النيجيرى ، وحركة شباب نيجيريا :

فى ديسمبر عام ١٩٢٢ ، استقبلت نيجيريا مجلسا تشريعيا جديدا مكونا من ٤٦ عضوا ، من بينهم أربعة منتخبين من الطبقة المتوسطة الافريقية فى لاجوس وكالابار • وقد شمل الذكور البالغين من رعايا نيجيريا ، والمقيمين فيها أكثر من ١٢ شهرا بدخل سنوى ١٠٠ جنيه ، كان عدد الذين لهم حق التصويت فى لاجوس ثلاثة آلاف من بين تعداد قدره ٤٠ ألفا ، وفى كالابار

ألف ناخب من بين تعـداد قدره عشرة آلاف • وعـلى الرغم من أن مجموع الناخبين كان صغيرا فى ذلك الوقت ، الا أنه كان دليلا كافيـا على تشجيع ظهور الاحزاب السياسية فى نيجيريا • وستتناول فى هذه المناقشة حزبين فقط من هذه الاحزاب •

الحزب الوطنى الديمقراطى النيجيرى :

تأسس الحـزب فى عام ١٩٢٣ بواسـطة هربرت ماكلوى Herbert Macaulay المهندس والصحفى النيجيرى ، وذلك لسد الفراغ الانتخابى للمجلس التشريعى عن لاجوس • وكان من بين أعضائه بعض الشخصيات البارزة مثل :

المحامى	Mr. J. Egerton - Shyngle	رئيس
المحامى	Mr. Eric O. Moore	وكيل
الطبيب	Dr. J. T. Caulcrick	
الطبيب	Dr. C. C. Adeniyi-Jônes	

وقد رسمت سياسة الحزب ودستوره وأغراضه العامة بواسـطة مجلس رئاسى • وعلى الرغم من الحد الجغرافى الذى كان محصورا فى لاجوس ، الا أن أهدافه امتدت الى الامانى الوطنيـة التى تتجلى فى تسميته وفى أهدافه الآتية :

(أ) العمل من أجل مصالح الشعب داخل نطاق الكومنولث البريطانى، والمناداة بالحرية والعدل والمساواة •

(ب) نشر التعليم الاجبارى فى نيجيريا •

(ج) القضاء على التمييز فى الادارة المدنية، والتفرقة فى المناطق السكنية فى المدن الساحلية التى يقطنها الاوروبيون •

وعلى الرغم من أن الحزب كان وطنيا بصفة عامة ، الا أنه لم يكن نشطا كما يجب كمنظمة وطنية ، فقد حصر نفسه لحد كبير فى النشاط الانتخابى فى لاجوس • وقد فاز الحزب بمقاعد المجلس التشريعى عن لاجوس فى سنوات ١٩٢٣ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٣ ، ١٩٤٤ ، ١٩٤٨ • كما فاز أيضا بمقـاعد بلدية لاجوس منذ عام ١٩٤٣ حتى عام ١٩٥٣ •

وعلى أى حال فان الحزب الديمقراطى توارى فى مجال التطورات القومية بظهور حركة شباب نيجيريا عام ١٩٣٨ .

حركة شباب نيجيريا :

اشملت المنظمة لحد كبير على قادة الطبقة المتوسطة ، جريا على سنة مثيلاتها من المنظمات التى كانت سائدة فى ذلك الوقت . وقد كان من قادتها :

الطبيب	Dr. James C. Vanghn	رئيس
الصحفى	Mr. Ernest Sisei Ikoli	رئيس
الصحفى	Mr. H. Oladipo Davies	

سكرتير عام . تلقى العلوم السياسية فى مدرسة لندن للاقتصاد .

برزت حركة شباب نيجيريا كحزب سياسى منظم امتد نشاطه الى أكثر من نصف نيجيريا .

وفى عام ١٩٤٠ وصل عدد أعضاء الحزب الى عشرة آلاف ثلاثة أرباعهم من اقليم اليوروبا فى الغرب . وفى مطلع النهضة القومية فى نيجيريا خرج النشاط السياسى للحزب عن حدود لاجوس ، فقد أنشأ الحزب عشرين فرعا فى مراكز متعددة مثل اباداان Ibadan ، أيف Ifs ، أبوكوتا Abeokuta

وقد انضم الى الحزب عدد من أنصاف السياسيين المحترفين فى هذه المراكز مثل اتحاد المنتجين Producers' Union ، واتحاد الموتورات Moter Union الذى شمل حوالى ألفى عضو .

لم يقتصر نشاط الحزب على المطالبة بتغيير المراكز الرئيسية فى الادارة الاستعمارية ، بل امتد أيضا الى المطالبة بتغيير نظام الحكم غير المباشر الذى يرزح تحته النيجيرون . وبالاختصار فقد حاول الحزب اعادة تنظيم الشعب جميعه تنظيما شاملا . ويمكن تعديد نشاط الحزب فى النقط الآتية :

١ ــ عدم الاعتراف بنظام الحكم غير المباشر ، وتطوير نظام المجلس المؤسس على السيطرة الفردية للحكام التقليديين . وقد وضع الحزب تخطيطا شاملا لاعادة تنظيم مجالس الرؤساء فى مديريات أبوكوتا Abeokuta ، جيبو Ijebu ، أوندو Ondo ، أويو Oyo . كما نجح الحزب فى ادخال العناصر المثقفة فى تلك المجالس ، وبالتالى تمكنوا من ادخال الافكار الجديدة .

٢ ـ وضع الحزب برنامجا وافيا لاعادة بناء اقتصاد نيجيريا من أجل الوصول الى الاستقلال التام • وقد كانت تلك المنظمة بالتأكيد نقطة تحول فى تطور القومية فى غرب أفريقيا ، وذلك باعتراف المسئولين الاستعماريين حيث قال مندوب الاحتلال فى هذا الصدد :

« لقد أدهشنى المظهر المشرف ، والذكاء الملموس فى تنظيم الحزب ، مما يتضح معه ضرورة وجود مثل هذه المنظمة لامداد البلاد بقوة وحيوية تعمل من أجل صالح نيجيريا اذا أحسنت قيادتها » •

٣ ـ سجلت حركة شباب نيجيريا نجاحا كبيرا فى المحيط الانتخابى على الرغم من أنه كان مؤقتـا • فبواسطة التأثير القوى للشخصيات النيجيرية مثل Mr. O. Alakija - Dr. Akinola Maja - Mr. H. S. A. Thomas Dr. K. A. Abayomi ، بواسطة مثل هؤلاء حققت المنظمة نصرا كبيرا فى انتخابات مجلس بلدة لاجوس فى يونيو سنة ١٩٣٨ ، وفى انتخابات المجلس التشريعى فى أكتوبر سنة ١٩٣٨ • ومع ذلك فقد تحولت تلك الانتصارات الانتخابية الى معاول هدم سريع للمنظمة كحزب وطنى قوى • ففى عام ١٩٤٠ شبت المنازعات بين قادة الحزب حول انتخاب المرشحين وحول مسائل أخرى وذلك عقب نجاح القائمة الانتخابية للحزب • وبذلك برهن الحزب على عجز القادة على التغلب على منازعاتهم ، وما لبث الحزب عام ١٩٤٣ أن أصبح شبحا بالقياس الى قوته السابقة •

وعلى أى حال فان حركة شباب نيجريا قد لعبت دورا هاما فى تشجيع ظهور القومية فى غرب أفريقيا ، فقد وضع الحزب الخطوط الرئيسية للتنظيم والقيادة مما كان له أثر كبير فى فترة ما بعد الحرب الثانية •

٢

المنظمات القومية والأحزاب السياسية

١٩٤٥ ـ ١٩٥٧

العوامل التى أدت الى ظهور القومية بعد الحرب فى غرب أفريقيا :

استمدت القومية فى غرب أفريقيا بعد الحرب الثانية بناءها من مجموعة عوامل أهمها :

١ ـ الطبقة المتوسطة :

كان لنمو الطبقات الاجتماعية الجديدة أثر كبير فى الوعى الاجتماعى والسياسى • ففى الفترة بين ١٩٢٠ الى ١٩٤٠ نمت الطبقات الاجتماعية الجديدة فى غرب أفريقيا باضطراد ، وقد سجلت الطبقة المتوسطة التى كانت بمثابة المحرك الرئيسى للقومية فى غرب أفريقيا انتصارات لا بأس بها فى العدد والثروة • ففى نيجيريا وصل عدد المهنيين من الطبقة المتوسطة عام ١٩٢٦ الى :

٥٦ محام ـ ٢٣ دكتور ـ ٥ أطباء أسنان ـ ١٠ صحفى وناشر ـ هذا الى جانب أعداد أخرى من القسيسين والمدرسين وخدم المصالح وما شابه ذلك • وقد حدث نفس التطور فى الاوساط التجارية من الطبقة المتوسطة • وفى أواخر عام ١٩٣٩ وصل عددهم ١٠٠ ألف تاجر ، بلغ متوسط الدخل الصافى للفرد منهم ٦٥٠ جنيها ، أما التجار الكبار فقد وصل صافى دخل الفرد فيهم الى ٢٢٠٠ جنيها •

أما فى ساحل الذهب فقد كان التطور على نطاق أوسع حيث وصل عدد المهنيين فى الفترة من ١٩٣٠ الى ١٩٣٧ الى :

٥٣ محام ـ ١٣ دكتور ـ ٣ أطباء أسنان ـ ٨ صحفيين وناشرين ـ ٣ بنوك

ـ ١٥ مساح ـ ١٤٧٤ مدرس ـ ٣٣٨ قسيس ـ ١٣٠٧ خدم فى المصالح ـ أما فى الاوساط التجارية فقد كانت الطبقة المتوسطة :

١٠٦٩٨ تاجر ـ ٣٦٣٥ موظفين فى البنوك ـ ١٥٦٥ صناعة الكاكاو ـ ١٢٤٩ من المزارعين يملكون ٢١٨٤ مرزعة كاكاو تنتج حوالى ٧ مليون جنيه ـ ٩٠٢ جزار ـ ١١٧٩ حداد ـ ١٥٠ عمال طباطة ـ ٩٨٦ جزمجى ـ ١٢٣ صناعة الجلود ـ ٣٢٤٥ ترزى ٠

وقد أدى هذا التزايد فى حجم الطبقة المتوسطة فى غرب أفريقيا الى زيادة تأثيرها الاجتماعى والاقتصادى ، والسياسى ٠ ويدل على ذلك الزيادة فى توزيع الجرائد الافريقية ، ، فقد كان فى نيجيريا عام ١٩١٣ ٤ جرائد فقط تزايد عددها الى ١٣ عام ١٩٢٦ ٠ وكان فى ساحل الذهب جريدتان فقط عام ١٩١٢ وصلت الى ثمانية عام ١٩٣٧ ٠ وقد كان لهذا الاتساع المضطرد فى الصحافة أثر كبير على الاهتمام بالسياسة الحكومية والاخبار السياسية والاجتماعية الداخلية والخارجية، وعلى اذكاء روح الوعى العنصرى والوطنى ٠ وبالاختصار يمكن القول أن الطبقة المتوسطة وصلت الى مرحلة جديدة فى تقدم القومية فى غرب أفريقيا فى الفترة بين ١٩٢٠ ـ ١٩٤٠ قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية ٠

٢ ـ الطبقة العمالية :

من الملاحظ أن الظروف التى دفعت بالطبقة المتوسطة الى التطور ، هى التى أثرت فى تقدم الطبقة العمالية ٠فاذا اتخذنا ساحل الذهب مثلا لوجدنا أن الطبقة العمالية كان تشتمل على العناصر الآتية عام ١٩٣١ :

١٤١٠٧ عمال مناجم ـ ٤٣٠٩ عمال النقل الميكانيكى ـ ٦٥٩٣ كتبة المؤسسات التجارية والصناعية ـ ٣٩٨٢٩ عمال زراعيين ـ ٥٦١٢ نجارين ـ ١٥٩٣ ميكانيكيين ـ ٢٧٣١ عمال البناء ـ ١٥٤ كهربائيين ـ ٥٥ عمال تلغراف ـ ٦٢١ مقاولين ٠

وقد بدأ العمال خلال الفترة ١٩٣٠ ـ ١٩٤٠ فى التفكير فى مستقبلهم ومطالبهم متشبهين فى ذلك بالطبقة المتوسطة ولكن بدرجة آقل٠ وفى سبيل ذلك لم تتجه تلك الطبقة الى السياسة مثل الطبقة المتوسطة ، بل انتظمت فى الاتحادات والنقابات٠ وفى عام ١٩٤١ كان فى نيجيريا ٥٠ اتحادا تجاريا مسجلا ثم وصل العدد الى ١١٥ وفى عام ١٩٥٣ الى ١٣٥ اتحادا بلغ مجموع

أعضائها ١٥٣ ألفا • أما في ساحل الذهب فقد كان هناك ١٠٤: اتحاد عام ١٩٥٤ وصل عدد أعضائها الى٤٦٣٠٩ • هذا علاوة على الاتحادات الاجتماعية الاخرى مثل : الاتحادات القبلية ـ الاتحادات الخيرية والاصلاح ـ الجمعيات الثقافية ـ نوادى الشباب والنوادى النسائية • وكانت كل هذه الاتحادات والجمعيات الاخيرة تبث الحيوية الافريقية بين الجماعات وتدعو الى البعد عن المدنية الاوروبية الملوثة• أما من الناحيةالسياسية فان هذه الجمعيات برهنت على أهميتها خلال فترة ما بعد الحرب بالنسبة للمنظمات القومية والاحزاب السياسية التى تكونت بواسطة الطبقة المتوسطة ، حيث أنها ساعدت الى حد كبير على نشر الوعى السياسى فى جميع أرجاء البلاد ، واعتمدت عليها الاحزاب الوطنية فى التنظيم والقيادة •

وعلى ذلك فان مقدمات القومية فى غرب أفريقيا بعد الحرب الثانية كانت فى أساسها مبنية على تطورات اقتصادية خلال الفترة ١٩٣٠ ـ ١٩٤٠ ، حيث أنه فى هذه الفترة تجمعت أنواع عديدة من المنظمات الجديدة التى فرضت وجودها وشخصيتها على الجماهير • وقد عجلت الحرب العالمية الثانية بتلك التغيرات الجزرية فى المجتمع ، ومهدت الطريق نحو تقدم سريع للمنظمات القومية والاحزاب السياسية •

وعلى الرغم من أن تلك الاحزاب الجديدة ما زالت تقاد بحفنة من الشخصيات البارزة ، الا أنها تختلف لحد كبير عن الاحزاب السابقة فى التنظيم والاهداف السياسية • ولا يمكن فى هذا المقام تجاهل حقيقة هامة وهى أن الخبرة التى اكتسبها الاولون كانت بمثابة الشعلة التى أنارت الطريق أمام الاحزاب السياسية الجديدة ، مما كان له أثر كبير فى التقدم السريع نحو تحقيق الحكم الذاتى لغرب أفريقيا بعد الحرب •

المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون :

تكون فى أغسطس عام ١٩٤٤ ، وقد اكتسبت الاحزاب الوطنية بظهوره مظهرا مميزا عن الاحزاب السابقة • فقد جاهد هذا الحزب للوصول بالشعب الى الحكم حيث أن شعاره كان الوطنية من أجل الشعب وبالشعب • لذلك اعتمد على عدد كبير من المنظمات الشعبية ، وقصر عضويته على الجمعيات القبلية والنوادى الاجتماعية والثقافية والاتحاد التجارى النيجيرى واتحاد الايبو وجمعية مزارعى غرب أفريقيا البريطانية الخ ••

اعتمد الحزب مثل المنظمات السابقة على الطبقة المتوسطة فى القيادة، فكانت ادارة الحزب تتكون من :

رئيسا •	Mr. Herbert Macaulay
أمينا للصندوق	Dr. A. B. Olrun Nimbe
سكرتيرا ماليا •	Mr. Oyeshile Omage
السكرتير العام •	Dr. Nramdi Azikiwe

وقد كان اسناد منصب السكرتير العام للحزب للدكتور أزيكوى من العوامل الجديدة فى تطور القومية للاسباب الآتية :

١ ـ كان أزيكوى أول أفريقى ذا ثقافة أمريكية يحصل على منصبا خطيرا فى منظمة قومية سياسية فى غرب أفريقيا •

٢ ـ أصبح دكتور أزيكوى عام ١٩٤٥ فى عداد الاثرياء النيجيريين عن طريق امتلاكه لعدد كبير من الجرايد من بينها الجرايد اليومية انتشارا (West African Pilot) • وقد ازدادت ثروته بعد ذلك بنجاحه فى أعمال البنوك •

٣ ـ ظهر أزيكوى كأول أفريقى يملك زمام السياسة الوطنية فى غرب أفريقيا ، وذلك عن طريق جمعه بين مركزه فى المجلس الوطنى وثرائه ومساندة الجرائد التى يمتلكها •

لذلك فان الحزب كان واقعا لحد كبير تحت تأثير أزيكوى الذى اهتم بالمجال السياسى للقومية فى نيجيريا وقدم أفكاره عام ١٩٤٣ فى ثلاثة مجلدات • وقد تمركزت أفكار أزيكوى السياسية حول فكرة أن الاستقلال السياسى يعتبر ضروريا لتحقيق دولة نيجيريا ، لانه عن طريق هذا الاستقلال يمكن للشعب أن يمارس الرئاسة المطلقة دون قيود ، وأن يسيطر على القوى التشريعية والقضائية • ومن هنا اقترح أزيكوى خطة ذات شقين يمكن عن طريقها أن تجهز بريطانيا نيجيريا للحكم الذاتى خلال ١٥ سنة •

وقد تحددت أهداف الحزب فى مؤتمر عام ١٩٤٥ كالآتى :

(أ) نشر الديمقراطية وتبنى مطالب شعب نيجيريا والكاميرون •

(ب) نشر الثقافة السياسية بين الشعب لتحقيق الحكم الذاتى •

(جـ) منح الاعضاء حرية المناقشة السياسية والعمل من أجل الطمأنينة الاقتصــادية والمســاواة الاجتمــاعية وحرية العقيــدة فى نيجيريا والكاميرون كعضو فى دول الكومنولث البريطانى ٠

وقد وضح الحزب طريق الطمأنينة الاقتصادية فى الخطوات الآتية :

١ ـ الاشراف على انتاج وتوزيع المصادر المعدنية فى البلاد ٠

٢ ـ حماية التجـارة والقضاء على احتكار الحـكومة للمناجم واستغلالها للشعب ٠

أما المساواة الاجتماعية فيمكن أن تتأتى بالخطوات التالية :

(أ) الغاء التمييز العنصرى بجميع صوره ، والقضاء على التفرقة بسبب الجنس أو اللون أو القبيلة أو المذهب ٠

(ب) انشاء نظام وطنى للتعليم الاجبارى بالمجان لجميع الاطفال حتى ١٦ سنة ٠

(جـ) مجانية العلاج ٠

وقد اتبع الحزب فى نشاطه السياسى ضد الحكم الاستعمارى بعض وسائل المنظمات السابقة ولكن الفرصة كانت متــاحة أمامه ، وكانت ظروف عمله أكثر ملائمة بسبب العوامل الآتية :

(أ) انتشار جمعيات الحزب فى معظم أنحــاء نيجيريا ، واستغلالها فى الدعاية السياسية بين جميع الطبقات ٠

(ب) مجموعة جرائد أزيكوى التى استخدمت فى اذكاء الروح الوطنية على نطاق واسع ٠

(جـ) امتداد شبكة المواصلات فى أنحاء البــلاد التى ربطت بين أطراف البلاد وسهلت النقل والاتصال بهذه الوسائل المجتمعة تمكن الحزب من نقــل أهدافه ودعايتــه الى القرى المنعزلة والمترامية فى شتى الارجاء ٠

وقد وضحت أهمية تلك العوامل فى الحملة التى نظمها الحزب ضد دستور ريتشاردز فى عام ١٩٤٦ ٠ ففى ذلك العام قام أنصار الحزب بالطواف لجمع التبرعات للوفد المسافر الى لندن ٠ وقد استعملوا فى ذلك الانواع المختلفة من المواصلات حيث طافوا بحوالى ٤٥ بلدة جمعوا منها مبلغ ٢٥٠٠ جنيها ٠

ويضيق المقام عن تفصيل نشاط الحزب ضد الحكم الاستعمارى فى نيجيريا، وتكفى الاشارة الى أن نشاط الحزب ضد دستور ١٩٤٦ كان أروع الاعمال فى تاريخ نيجيريا الحديث بصفة خاصة وغرب أفريقيا بصفة عامة . كانت عوامل تطور القومية فى نيجيريا وثيقة الصلة بسلسلة من التغييرات الدستورية ، والتى ابتدأت بدستور ريتشاردز عام ١٩٤٦ الذى قسم البلاد الى ثلاثة أقاليم مجهزة بثلاثة مجالس اقليمية ، وذلك لتسهيل تنفيذ السياسة الحكومية . وبينما كان عدد أعضاء المجلس التشريعى عام ١٩٢٢ يبلغ ٢٧ عضوا رسميا و ١٩ عضوا غير رسمى ، قفز هذا العدد عام ١٩٤٦ الى ١٦ عضوا رسميا ، ٢٨ عضوا غير رسمى معظمهم من الافريقيين وأربعة بينهم منتخبون بالطريق المباشر (ثلاثة من لاجوس وواحد من كالابار). كان القادة الوطنيون يظهرون دائما وفى شتى المناسبات عدم رضائهم عن هذا التغيير وخاصة نظام تعيين الاعضاء لما فيه من شـذوذ ، ويطالبون بتمثيل شـعبى يعتمد عن الناخبين البالغين . وعلى الرغم من أن الحكومة الاستعمارية لم ترضخ لمطالب الوطنيين فى ذلك الوقت ، الا أنهـا منحتهم اياها عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ . فقد اقترح الحاكم الذى خلف ريتشاردز Sir John Mac Pherson القيام بمشاورات على جميع المستويات (١٩٤٩ ـ ١٩٥٠) وذلك لوضع دستور جديد لنيجيريا ، وتمخض عن ذلك دستور ديمقراطى جديد حقق الاغراض الآتية :

١ ـ تأليف حكومة وزارية مركزية وأخرى محلية .

٢ ـ تمثيل أغلبية أفريقية فى مجلس النواب .

٣ ـ انتخاب المجالس الاقليمية بالطريق غير المباشر ، باستثناء لاجوس فيكون الانتخاب فيها بالطريق المباشر لانتخاب خمسة من أعضـاء المجلس الاقليمى الغربى .

ونتيجة لهذا التطور ظهرت ثلاثة أحزاب سياسية وطنية جديدة لخوض المعارك الانتخابية وهى :

(أ) The Northen Elements Progressive Union

(ب) The Northern People Congress

(جـ) Action Group

ثم حدثت بعد ذلك سلسلة من التغييرات السياسية فى الاعوام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ـ ١٩٥٧ ، تمخضت عن أحزاب سياسية اضافية فى المحيط السياسى وهى :

(أ) The United National Independence Party (١٩٥٣)

(ب) The Idoma State Union (١٩٥٤)

(جـ) The Dynamic Party (١٩٥٥)

وعلى ذلك فانه منذ عام ١٩٥١ وما تلاها من سلسلة الانتخابات الاقليمية تطور كفاح القومية النيجيرية بين المجموعات الافريقية البارزة ، التى أخذت المظهر المتفرق فى المعركة ضد الحكومة البريطانية الاستعمارية ، بدلا من الكفاح الموحد • وحاليا تتكون نيجيريا من ثلاثة حكومات اقليمية تشرف عليها حكومة مركزية • ويحدد الحكومات المحلية خطوط قبلية مثل الهاوسافولانى فى الشمال ـ اليوروبا فى الغرب ـ الايبو فى الشرق • ويجهز كلا منهما بالادارة والتشريع والوزارة الخاصة بها •

وعلى ضوء الموقف الحاضر ، يمكن القول بشىء من التأكيد أن مستقبل نيجيريا الحية المتحدة ما زال معتما حقا •

حزب المؤتمر الشعبى وصحوة غانا :

فى عام ١٩٤٧ قبل الدكتور نكروما (المقيم فى لندن حينئذ) الدعوة للعودة الى ساحل الذهب لكى يتقلد منصب السكرتير العام لحزب مؤتمر ساحل الذهب المتحد (أول منظمة قومية فى ساحل الذهب بعد الحرب) حاول نكروما منذ عودته احياء الحزب وتجديده من الناحية التنظيمية والخطط السياسية • وكان نكروما ممثلا للجناح اليسارى فى الحزب بينما كان يقف فى الجانب الآخر زعماء آخرون مثل :

Dr. J. B. Danquah - Mr. William Ofori - Atta - Mr. George Grant

وقد كانت ثورة فبراير ١٩٤٨ بالاشتراك مع تقرير Coussey عن الاصلاحات الدستورية سببا فى اتساع شقة الخلاف بين نكروما وصحبه مما أدى الى انفصال نكروما عن الحزب ، وتكوين حزب المؤتمر الشعبى فى يونيو عام ١٩٤٩ •

حزب المؤتمر الشعبي The Convention Peoplés Party :

من أكفأ الاحزاب فى غرب أفريقيا تنظيما ، يديره مجلس تنفيذى وطنى مكون من الدكتور نكروما رئيسا مدى الحيـاة ، ونائب للرئيس ، وممثلون منتخبون ، ومنظمات الشباب ، والمنظمات النسائية • أما المسئولية الكاملة فانها تقع بين أيدى الجمعية المركزية التى تتكون من أعضاء مستديمين وهم دكتور نكروما ، وساعده الايمن Messrs K. A. Gbedemah (وزير الخزانة الحالى) ، Kojo Botsio (وزير الخارجية الحالى) • ومن أهم مظاهر الحزب شعبيته التى أسست على المبادىء الاجتماعية• ويقود الحزب طبقة من المثقفين الافريقيين من غير ذوى الميول البورجوازية ، من بينهم المحامون ولكن معظمهم من المدرسين وصغار التجار ، واتحادات التجارة ، والسياسيون المحترفون• هذا الى جانب اتصال الحزب الوثيق بطبقة العمال الاجراء فى البلدان والمراكز الاجتماعية ، وصغار المزارعين ، والعمال الزراعيون فى مناطق الاقطاع •

ويتعاون مع الحزب مجموعة من المنظمات الشعبية مثل اتحادات التجارة ، وجمعيات الزراعيين ، والجمعيات التعاونية ، ومنظمات الشباب ، والنوادى الثقافية الخ •• ولكن الانضمام للحزب كان على أساس فردى برسم قدره ٢ شلن • وقد وصل عدد فروع الحزب فى جميع أنحاء البلاد الى ٢٨٨٥ عام ١٩٥٥ • وتتلخص أهداف الحزب فى النقاط التالية :

١ ـ النهوض بالمستوى السياسى والاقتصادى والاجتماعى للشعب وخاصة الطبقات الكادحة •

٢ ـ الحكم الذاتى العاجل •

وفى سبيل ذلك استخدم الحزب أجهزته المنظمة فى الضغط على بريطانيا، وذلك فى سلسلة من الاجتماعات السياسية والانتخابية ، حتى استقبلت البلاد دستورا جديدا عام ١٩٥٠ بجمعية تشريعية مـكونة من ٨٤ عضوا ، ومجلسا للوزراء • وبمقتضى هذا الدستور أجريت انتخابات عامة فى فبراير عام ١٩٥١ حصل فيها الحزب على أغلبية ساحقة: ٣٣ عضوا من ٣٨ فى الجمعية التشريعية ، بينما حصل الحزب المنافس (مؤتمر ساحل الذهب المتحد) على ثلاثة مقاعد • عندذلك أطلق سراح نكروما ودعاه الحاكم Sir Charles Arden Clarke لتشكيل الحكومة من ٨ وزراء ستة من حزب المؤتمر الشعبى• عدل الدستور بعـد ذلك عام ١٩٥٤ ، وزيد بمقتضاه عدد مقـاعد الجمعية التشريعية الى ١٠٤ ينتخبون بالطريق المباشر • احتفظ نكروما بانتصاراته

فى انتخابات ١٩٥٤ ، ١٩٥٦ (٧٢ ، ٧١ مقعدا على التوالى) وبعد مفاوضات استغرقت بضعة شهوربين حكومة نكروما والحزب المعارض من جانب والحكومة البريطانية من جانب آخر تم الاتفاق على دستور غانا وأعلن استقلالها فى ٦ مارس سنة ١٩٥٧ (اشتق الاسم « غانا » من امبراطورية أفريقية قديمة) ٠

ملحوظة ختامية :

بحصول غانا على استقلالها ، ظهرت مرحلة جديدة من النضال الافريقى من أجل الحرية والمساواة ٠ وأسرعت شعوب أفريقيا الاستوائية خطاها نحو الاستقلال ٠ وجدير بالذكر أن كفاح المنظمات والاحزاب الافريقية فى سبيل الاستقلال السياسى للشعوب الافريقية ، ما هو الا بداية الطريق لا النهاية وقد قال الدكتور نكروما فى ذلك :

« فى الوقت الذى أضع فيــه قدمى فخورا على عتبــة ذلك المركب الذى يستعد للمسير ، أتطلع بناظرى الى الافق متفرسا فى الــكثير الذى ما زال ينتظرنى » ٠

من تلك الاشياء التى ينتظرها نكروما ، التطلع الى حياة أفضل للرجال والنساء والاطفال فى أفريقيا ٠ وعلى الرغم من أنه فى سبيل تحقيق الغــاية تقف كثير من العقبات فى الطريق ، الا أن عقبة رئيسية لم يوليها القوميون الافريقيون عنايتهم الــكافية ، ألا وهى عدم التــكافؤ الملموس بين الشعب الافريقى فى الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية ٠ وقد تتجسم تلك الفروق أكثر وعلى نطاق واسع بعد الاستقلال ٠ وتبلغ تلك الفروق ذروتها فى غرب أفريقيا ٠ ويمكن توضيح تلك الفروق فى الامثلة الآتية :

القطاع الزراعى :

يبلغ دخــل المزارع الصغير (ويكون الاغلبية) من ٢٥ الى ٥٠ جنيها فى السنة ويرزح تحت عبء الدين وينوء كاهله بكثير من أعباء الحياة ٠ هذا فى حين أن حفنة من المزارعين الاثرياء يتراوح دخل الفرد منهم بين ثلاثة آلاف جنيه سنويا من الكاكاو فقط ٠ وقد بين Mr. P. C. Llogd بمعهد غرب أفريقيا للابحاث الاجتماعية والاقتصــادية ذلك بوضوح فى صورة مزارع نيجيرى ثرى فى ناحية Abo-Ekiti فيسجل أن عقاره يقدر بحوالى ٥٠٠ ألف جنيه ــ ويملك لوريات وعربتين ومنازل كثيرة بما فيهــا المنزل الذى يعيش فيه ٠

القطاع المهنى :

قام بهذه الدراسة عضوان من هيئة التدريس بجامعة غانا على المهنيين من الطبقة المتوسطة وخرجا بالآتى :

الطبيب الذى يبلغ دخله ٦ آلاف جنيه عام ١٩٥٣ يملك منزلا لا يفترق فى شىء عن أى منزل فاخر فى الريف الانجليزى ، مكونا من عشرين غرفة مخصصة لمعيشة ثمانية أفراد ، به ٤ حمامات ، ٣ دورات مياه • بالاضافة الى ثلاثة عربات للعائلة ــ واحتياطى من المال على صورة أسهم وسندات ــ وحساب جارى بالبنك ، ٤ عربات لورى •

قطاع العمال :

من احصائية لمعيشة هذه الطبقة تبين الآتى :

يسكن ٥٢ شخصا فى ١٦ حجرة ، ليس بها مطبخ ، ويستعمل الافراد الفناء فى المطبخ وذلك لان الحجرتان المخصصتان للمطبخ قد حولتا الى حجر سكنية • دورة مياه واحدة • وقد وجد أن حجرة مساحتها ٩ × ٧ قدم يشغلها رجل وزوجتين وثلاثة أطفال بجانب المنقولات والغذاء •

ولا يكفى الطبقة المتوسطة التى نجحت فى كفاحها من أجل الاستقلال السياسى ، أن تحاول تحقيق العدالة الاجتماعية مجرد القلق والاهتمام ، وذلك لان حل هذه المشكلة يتوقف على كفاءة هذه الدول لكى تتغلب على مشاكلها الاقتصادية المتخلفة • وعلى الرغم من أن معظم الجماهير تدرك تماما أن توزيعا عادلا للثروة يتوقف على النهوض بالاقتصاد العام للبلاد ، الا أن القليل منهم يدرك حقيقة التغيير الجذرى للمجتمع كأساس لحل المشكلة ، بدلا من الحلول البطيئة الرتيبة • وهذه الحقيقة تبدو جوهرية لرقى شعوب دول غرب أفريقيا • وقد تساءل بعض المواطنين عما اذا كانت المشكلة من أساسها هى ذلك النظام الرأسمالى والاقتصادى الذى ورثته دول غرب أفريقيا من الحكم الاستعمارى ؟ وعما اذا كان القادة عندهم الكفاءة لمجابهة تلك المشكلة؟ ويرى الدكتور نكروما أنه نظرا لتخلف الدول المستقلة فى العلم والزراعة والصناعة ، فانه للتغلب على هذا التخلف يجب بذل الجهود الجماعية ، والتعبئة

الشاملة للاستفادة من الطاقة البدنية والعقليـة • وتبعا لذلك يرى نكروما أن النظام الرأسمالى المعقد لا يصلح للدول حديثة العهد بالاستقلال • ويجب بدلا من ذلك ضرورة الاتجاه الى المجتمع الاشتراكى • وعلى ضـوء الظروف الحاضرة ، لا يمكن للمرء أن يحـدد الى أى مدى يمكن لدول غرب أفريقيا أن تكيف نفسها نحو التقدم فى ظل تلك النظم الاستعمارية التى ورثتها • ومن الصعب التكهن بذلك بالنسبة للموقف الراكد المتميع الذى يسـود القوى القومية فى غرب أفريقيا •

٣

الطليعة الأفريقية فى نيجيريا

بقلم : **Hugh H. Smythe**

التعريف بالكاتب

تخرج فى كلية ولاية فرجينيا - حصل على الدكتوراه من جامعة فورث ويسترن - استاذ مساعد الاجتماع فى كلية بروكلين - عمل كاستاذ زائر فى جامعة ياماجوشى القومية فى اليابان - فى العام الماضى قام بدراسة الطليعة الافريقية فى غرب أفريقيا ، موفدا على منحة من مؤسسة فورد .

نشر ٧٥ مقالا فى مجلات مختلفة منها :

American Sociological Review, United Asia, American Scholar, Nation, New Republic, American Journal of Sociology and Jeurnal of Human Relations.

* * *

لم تعد القومية أملا بعيد المنال للدول الافريقية بعد كفاحها المرير ، ففى بعض الدول أصبح الاستقلال حقيقة مسلم بها ، وفى البعض الآخر ظهرت تباشير الحكم الذاتى التام . ومن تلك الدول الاخيرة نيجيريا على الساحل الغربى لافريقيا ، التى برزت أهميتها العالمية بتعدادها الكبير ، وقوتها السياسية والاقتصادية المتطورة ، وقيادتها النامية .

تتكون الطليعة الافريقية فى نيجيريا من مجموعة من الاشخاص تأثروا بالغرب ، حيث تلقوا تعليمهم وتدريبهم . حتى أصبحت مبادئهم ونظرياتهم تتسم بالمبادىء والنظريات الغربية ، وتميزوا بذلك عن الطليعة السابقة التى

ظهرت قبل الحرب العالمية الثانية ، والتى كانت تتكون أساسا من هؤلاء الناس الذين كانوا ينتسبون الى العائلات الشهيرة ذات النظم القبلية التقليدية بينما كانت القومية بالنسبة للمجاهدين السابقين لا تتعدى الشعارات الشفوية ، نجدها بالنسبة للطليعة الجديدة تنمو وتترعرع حتى تحددت معالمها ، وأصبحت كلباس محكم على الجسم يحس به فى كل حركاته . وبتأكد الشعوب من قرب حصولها على الاستقلال تغيرت مشاعرهم ، حيث تحولت أفكارهم من مجرد الحكم الذاتي الى الاهتمام المتزايد بمستقبلهم ، وتطلعوا بأمل كبير نحو اللحاق بالطليعة العالمية . وعلى الرغم من الصورة النهائية للطليعة الصاعدة وتحديد معالمها ، الا أن نيجيريا كانت تعانى نقصا ملحوظا فى تلك المجموعة للاسباب التالية :

(أ) النقص الواضح فى طبقة الافراد الاثرياء والمثقفين ، فقد كان هناك حفنة من الشخصيات البارزة التى اكتسبت أهميتها بانتسابها للعائلات الكبيرة . أما غالبية الشعب فكانت تعيش على الحالة البدائية ولذلك فان الطبقات النيجيرية المتمدينة لم تتكون بعد . أما الافراد الاكفاء فكانوا مبعثرين فى أنحاء البلاد ، حيث الاقامة فى المساكن الحكومية التى تقع فى حواف المدن بعيدا عن المراكز الرئيسية للتسويق والتجارة . وكانت الحكومة تنشىء تلك المساكن للرسميين من الاوروبيين ، وقد احتلها الوطنيون بعد الاستقلال . وعلى ذلك فانه من الصعب تحديد المستوى الذى يمكن أن توضع فيه الطليعة النيجيرية . فهناك ذوى الثقافة العالية الذين تنقصهم الكفاءة ، وهناك الاثرياء الذين ينقصهم التعليم ، وهناك النوابغ ولكن عددهم قليل جدا ويشتغلون بالشئون السياسية أو الاجتماعية .

(ب) تنتشر الجمعيات الخيرية والاجتماعية فى المدن ، ولكن عضويتها لحد كبير تعتمد على الطائفية ، وهناك ذلك العدد المحدود من النوادى الخاصة التى ينضوى تحت لوائها أفراد لا يمكن بحال من الاحوال اعتبارهم من الطليعة . وهناك أيضا فى كل مدينة مجموعات من الشخصيات تجمعها عوامل مشتركة ، ويمكن ادراجهم تحت قائمة الطليعة النيجيرية ولكنهم يعملون متفرقين بسبب خشية بعضهم من بعض وعدم ثقة كل منها فى الاخرى . ومع ذلك ، وعلى الرغم من هذا الموقف المتميع غير المحدد ، نلاحظ ظهور مجموعة بارزة من

الطليعة تتزايد أهميتها مع الزمن ، الامر الذى يدعو الى التساؤل عن العوامل التى تخلق تلك الجبهة البارزة من الطليعة فى نيجيريا هل هى :

١ ـ الثروة والجاه ٠

٢ ـ الثقافة والاحتراف ٠

٣ ـ العمل بمصلحة حكومية لهـا خطرها وتأثيرها المباشر على الجمهور ٠

٤ ـ التقاليد والعادات الشائعة بين الجماعات البسيطة فى المدن والقرى ٠

٥ ـ السفر أو التدريب فى الخارج ٠

٦ ـ الاندماج فى الاوساط الحكومية ٠

٧ ـ اكتساب المظهر الغربى بلبس الملابس الغربية الفاخرة ٠

٨ ـ الاستغال بالمسائل الدينية ٠

٩ ـ التقرب الى الاوروبيين المستعمرين ٠

وسواء كانت العوامل السـالفة الذكر منفردة أو مجتمعـة من مكونات الطليعة النيجيرية ، الا أن القيم الجديدة التى حلت محل التقاليد الاجتماعية القديمة ، كانت العامل الاساسى فى خلق تلك الطليعة ٠ وقد ارتكزت تلك القيم على الاسس التالية :

التعليم :

لا يمكن اهمال الدور الخطير الذى يقوم به التعليم فى خلق الطليعة فى أى بلد ، وفى نيجيريا الآن ، لايندمج فى الطليعة الا من هو على قسط من العلم، الى جانب القدرة على تحمل المسئولية ٠ ومن هنا برز القادة السياسيون مثل رؤساء الوزارات المحليين والمركزيين الذين تصدروا الطليعة النيجيرية ٠ وعلى ذلك فان الطليعة النيجيرية وصلت الى مركزها بالتدرج فى سلم المجـد من أسفل الى القمة ، هذا باستثناء ساردونا Sardauna رئيس وزراء الشمال الذى ينتمى الى العائلة الحاكمة فى سوكوتو Sokoto ٠

الثروة :

من المعروف جيدا بين الطبقات المتمدينة فى نيجيريا ، أن المال هو الطريق الرئيسى الذى يؤدى الى القوة والجاه والسلطان فى الوقت الحاضر • ذلك لان الثروة يمكن أن تستميل الغالبية من الناس الى الخضوع والنفاق حتى ولو كان صاحب الثروة أصلا من وسط منخفض • هذا علاوة على أن الثروة تضفى على الشخص مظاهر العظمة (عربة فاخرة ـ منزل أنيق ـ خدم كثير ـ السفر الى الخارج) •كما أنها تيسر أمام الشخص سبل الاختلاط بالشخصيات البارزة • وبالتالى تجعله محط أنظار الجماهير كشخصية لها مكانتها فى المجتمع • وحيث أن الثروة ترفع الشخص بهذه السرعة الى قمة الشهرة ، لذلك فقد تضاءل بجانبها عامل الانتساب الى عائلة كبيرة ، بل على العكس من ذلك أصبح هؤلاء الذين ينتسبون الى العائلات الكبيرة يعملون على التقرب ممن هم أقل منهم مستوى من ذوى النعمة المستحدثة الذين تمكنوا من جمع الثروة والمال •

المركز الاجتماعى :

لا يصنع الشخص مركزه الاجتماعى فى أى مجتمع بما يقوله ويفعله فقط ، بل الى جانب ذلك العمل على اكتساب احترام الآخرين ، لان سمعته تتوقف لحد كبير على نظرة الجماهير اليه • وفى نيجيريا ترتبط قوة الشخص بمقدرته على كسب الجماهير ، لان فى ذلك تأمينا لكيانه الاجتماعى ، واذا ما استولى الشخص على الجماهير ، فانه يصل الى مستوى يعلق عليه الجماهير آمالا كبيرة •

المكاسب الشخصية :

فى دولة متخلفة مثل نيجيريا ، يمكن للشخص أن يصل الى مكان الطليعة عن طريق الاجتهاد الشخصى ، نظرا للعدد القليل من الشخصيات المدربة • ولذلك فان هؤلاء الذين حصلوا على ثقافة عالية وخاصة فى الخارج ، قوبلوا جميعا من الجماهير بالتقدير والاحترام ووصلوا الى القمة وخاصة عندما اندمجوا فى الشعب ، وصبغوا نشاطهم بالصبغة الشعبية •

السفر :

فى العادة يعجل السفر وخاصة الى الخارج من وصول الشخص الى مصاف القيادة فى دولة مثل نيجيريا اناسها فقراء ومقيدون فى حركاتهم بالروابط التقليدية • وبالطبع تزداد أهمية الشخص اذا ما سافر فى بعثة حكومية

أو مهمة رسمية من قبل الحكومة • ومن البديهي أن السفر في حد ذاته يوسع مدارك الشخص ويصقل شخصيته ويعطيه فرصة الالمام بالشئون العالمية التى كان محروما منها بحكم المعيشة الانعزالية البدائية فى نيجريا • وهذه كلها مؤهلات ترفعه الى الطليعة •

الخبرة :

بالاضافة الى العوامل السابقة ، تساعد الخبرة على بناء الشخصية • فالعمل فى الادارات الحكومية ذات الصلة بالجمهور ، أو كفاح الشخص لرفع مستواه ، كل ذلك يضيف الكثير من الخبرة الى الشخص وبالتالى يرفع من اسمه بين الجماهير ، وذلك عن طريق نشر صورة واسمه فى الجرائد والكتب والاعلانات بغرض استغلال شهرته الشخصية بواسطة المؤسسات التجارية والصناعية • وبذلك يتدرج الشخص فى الرقى حتى يصل الى الطليعة •

ويتضح من المناقشة السابقة أن الطليعة الجديدة فى نيجيريا لا تنتسب جميعها الى العائلات القديمة ذات الشهرة والسلطة ، بل قفزت مجموعة من الاوساط الدنيا الى مكان الصدارة التى تملك الآن القوة والسطرة الفعلية فى الادارات المختلفة للحكومة • ولكى نعلم الكثير عن هذه الطبقة الجديدة من الطليعة ، فانه من المفيد أن نستعرض بايجاز الحكم التقليدى القديم الذى كان سائدا قبل ظهور هذه الطبقة التى تقود البلاد حاليا نحو الحكم الذاتى السياسى •

فى الوقت الحاضر ، ما زالت نيجيريا مقسمة الى ثلاث أقاليم رئيسية تبعا لظروفها الاجتماعية التقليدية ، وما زال بعضها يقاوم النظام الحالى للحكم • وعلى الرغم من أن الحكام القدامى فقدوا سيطرتهم على المدن ، الا أن نفوذهم ما زال متغلغلا فى القرى والاماكن التى يسيطرون عليها باسم الحكومة الاستعمارية • ومع ذلك فان عرضا سريعا للظروف التى كانت سائدة فى كل اقليم ، قد تؤدى الى فهم أكثر لتلك الطليعة النشطة التى تتولى حاليا القيادة • ففى الاقليم الغربى الذى يزدحم أساسا بعشائر اليوروبا يحتل الرؤساء مركزا مماثلا لذلك الذى يحتله الرؤساء فى الشمال • وفى الشمال تمارس قبائل الهاوسا والفولانى السلطة عن طريق نظام اسلامى متنازع • وفى الشرق تتمتع قبائل الايبو بأكبر قوة وحدوية حاكمة عن طريق جميع رؤساء العائلات مجتمعين على صورة هيئة حاكمة ، ولا يتبع فى هذا الاقليم النظام الوراثى فى الحكم •

ويرجع الحكم التقليدى القديم فى نيجيريا الى ما قبل الاحتلال البريطانى، وما أن جاء هـذا الاخير حتي تجـاهل بطريق أو آخر هذا النظام فى الحـكم (باستثناء الشمال) لدرجة أن القيادة التقليدية ضعف كيانها وأصبحت فى كثير من المناطق لا تحمل أكثر من الاسم • وحتى فى الاقليم الشمالى الذى احتفظ فيه الاستعمار بنظام الحكم غير المباشر ، عجز هذا النظام العتيق عن التغلب على المشاكل المنبثقة عن العلاقات الجديدة بالدول الغربية ، وخاصة المشاكل الصناعية الناجمة عن التطور الاقتصادى • وبالاختصار وقف هذا النظام عاجزا أمام الضرورات الجديدة لنيجيريا السائرة نحو الحرية والاستقلال• وقد ترتب على ذلك تغييرات شاملة فى البناء القيادى القديم للامراء وبرزت طبقة قيادية جديدة •

تختلف القيادة الجديدة فى كثير من النواحي عن القيادات القديمة ، وتبدو أكثر كفـاءة فى خلق طراز جديد من الزعمـاء على المستوى الوطنى بدلا من اقتصارها على مستوى الجمـاعة القبيلة • وعلى ذلك يمكن تحليل شـخصية القائد الجديد كالآتى :

يتراوح عمر القائد (يشترط فيه أن يكون رجلا وليس امرأة) بين ٢٥ ، ٥٠ سنة ، ويكون على مستوى فوق المتوسط من الثقافة • أما القائد الذى يصل الى القمة ، فانه يكون قد اكتسب بعض الخبرة فى انجلترا أو أمريكا أو أى بلد أجنبى آخر • ويصل الى الذروة اذا كان حاصـلا على الدكتوراه ـ ولو فخرية ـ من جامعة أجنبية بالاضافة الى الاسفار الداخلية والخارجية•

ولا يشترط ظهور القائد من عائلة كبيرة ، ولكن لا بد من العمل الشاق المتواصل ، والتعليم المتزايد علاوة على الـكفاءة الشخصية وقوة الاحتمال والحظ الحسن ، وعلى مر الزمن يدفع بنفسه الى مركز القيادة •

ونظرا لان القائد الجـديد يشعر بأنه جـزء من مجموعة مختـارة فى بلد مستعمر يسعى الى الاندماج بسرعة فى العالم الجـديد ، لذلك فان مشاعره تتأثر بأهميته الجديدة ، وتتجلى هذه الروح فى سلوكه وتصرفاته على الوجه الآتى :

يخاطب من هم دونه بحكمة وروية باقتضاب ولكن بادب وبغير احتقار • ويتحفظ دائما فى علاقاته بهم بحيث يجعل حائلا بينهم وبين نفسه ، ويتوقع منهم الطاعة على الدوام •

أما مع أنداده ، فانه يكون اجتماعيا ودودا ، يتبادل معهم وجهات النظر دون تحفظ ، ولا يتردد عن معارضتهم أثناء المناقشة ، ويظهر بمظهر المطلع العالم ببواطن الامور ، مع الحرص الدائم على توطيد مركزه بينهم •

أما بالنسبة لمن هم أعلا منه ، فانه يظهر لهم الود والاحترام ولكن بغير جبن وخاصة أمام الشعب •

ويرسم لنفسه طريق الزعامة ، واضعا نصب عينيه أنهم لا ينظرون بعين الارتياح الى آماله ومطامحه •

أما سلوكه الاجتماعي فانه يعتمد على انتهاز الفرص، ففي حفلات الكوكتيل والعشاء يكون مهذبا مبتسما ، يتحدث بلباقة وبتحفظ ، ويجيد المناقشة ، ويحسن الاستماع أو يتظاهر بذلك أمام الشخصيات البارزة • يؤسس علاقاته الاجتماعية مع الاجانب المحليين والعالميين • يبدو متجهما جادا في الحوادث الخطيرة، ولكنه يتصنع الهدوء والبرود اذا كان الظرف يقتضي ذلك• يكتسب المظهر الرسمي اذا لزم الامر• يتحاشى الظهور بالتطرف أو التعصب• وبصفة عامة يضفي على نفسه مظاهر العظمة والاهمية ولكن في غير غطرسة أو كبرياء •

أما رئيس الوزراء أو الوزير، فبجانب الصفات السابقة يكون من المستويات الآتية :

برلماني أو شرع ـ رجل أعمال ـ ممثلا للعمال ـ مستشار ـ رجل كنيسة ـ موظف حكومي ظاهر ـ أستاذ جامعي شهير ـ قاض ـ محام ـ سياسي محترف •

ومع هذا العرض السريع لمقومات الزعامة الجديدة في نيجيريا ، فانه يجب عدم التقليل من الاهمية الاقليمية في ظهور الزعامات الجديدة • ففي الجنوب الذي تأثر لحد كبير بالحضارة الغربية ، انحدرت الزعامة المعاصرة أساسا من بين العائلات القديمة الراسخة • عندما سيطر الانجليز على البلاد ، اعتمدوا على نظام الحكم غير المباشر في صورة الحكام التقليديين • وكانت هذه العائلات الكبيرة على قدر كبير من الثراء والجاه ، ولذلك كانوا بالتبعية يمهدون الطريق أمام ذرياتهم للحكم من بعدهم والاستئثار به دون غيرهم •

وعلى ذلك كان أطفال هذه العائلات هم أول من أتيحت لهم فرصة التعليم فى مدارس التبشيروالحكومة • وكانوا يرسلون الى بريطانيا للتعليم (بعضهم أرسل فى سن الثامنة أو التاسعة) ، حيث يدخلون المدارس الخاصة ويتلقون التعاليم الانجليزية ، وبذلك تأثروا بالانجليز الذين شكلوهم كما يريدون• وعند ذلك بدأت هذه الطبقة تنظر الى نفسها كطبقة ممتازة ، وانضم اليهم فى ذلك الزنوج الاحرار جنوب الولايات المتحدة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين • بالاضافة الى ذلك بدأ التاج البريطانى فى اضفاء الميداليات والدرجات على الحكام النيجيريين، والعمل على توطيد مراكزهم وتثبيت دعائمهم فى البلاد • وعلى الرغم من أن هؤلاء كانوا أقل عددا ، الا أنهم كانوا فى نيجيريا مجموعة متكاتفة من الشخصيات ذات الجاه والثروة والثقافة •

من هذه الطبقة انحدرالسياسيون المحترفون فى نيجيريا، واحتلوا المراكز الرئيسية فى الحكومة (القضاء ـ عضوية الجمعيات والمجالس الحكومية ـ عضوية الوفود الرسمية الى بريطانيا وغيرها من البلاد الاجنبية) • وكانوا أول من عملوا فى أول جهاز سياسى حديث خلقته الادارة الاستعمارية كممثلين للشعب مثل المجالس التشريعية ، والجمعيات الاستشارية القديمة •

هكذا كان المظهر القديم فى جنوب نيجيريا ، وهكذا يظل المظهر الحاضر فى شمال نيجيريا • وقد كان هذا النظام قويا فى الغرب أكثر منه فى الشرق وذلك بسبب الهيكل الاجتماعى المزمن فى الغرب، والعدد القليل من العائلات القديمة فى الشرق• ومع مجىء الحرب العالمية الثانية وما صاحبها من انحسار تيار الاستعمار ، ونمو الشعور الوطنى بين الجماهير المستعبدة ، وزيادة الفرص السياسية والاجتماعية ، بدأت العائلات الحاكمة تفقد أهميتها • كما أن انتشار المدنية ساعد على هدم العادات القديمة ، والمشاعر العميقة المتأصلة فى نفوس الجماهير • وقد ترتب على ذلك الشعور بالحرية والشخصية المستقلة والسعى وراء العلم لانتهاز الفرص المتاحة• وعلى ذلك أصبح التعصب العائلى لا يقف عقبة فى طريق التقدم والظهور ، وبمرور الوقت تمكنت الشخصيات الناجحة من الوصول الى القمة والانضمام الى الزعامات الجديدة•

فى الوقت الحاضر ، تضرب الزعامة النيجيرية فى الجنوب أروع الامثلة للطليعة العالمية ، الامر الذى رفع أفراد العائلات القديمة الى محاولة الانسجام مع العهد الجديد • وأصبح الفرد منهم لا يصل الى المناصب بالوراثة ولكن بالتنافس الناجح فى الوسط الجديد •

أما فى الشمال ، فان النظام الاسلامى المتزمت يجعل تقلد المناصب وقفا على الظروف الشخصية ، فقد استمرت العائلات الحاكمة فى السيطرة على الحكم فى ذلك الاقليم ، وذلك بمقتضى نظام لورد لوجارد للحكم بالطريق غير المباشر • وقد احتفظت قبائل الفولانى (فى الماضى) ، وقبائل الهاوسا (حاليا) بمكان الصدارة بسبب تخلف هذا الاقليم عن أمثاله فى الجنوب • وقد بدأ حاليا عدد من الافراد فى الشمال فى السفر الى الخارج للتدريب واكتساب الخبرة ، كما أن انتشار المدارس حديثا ساعد على اتاحة فرص أكبر أمام الشعب الشمالى للتعليم • ومع ذلك فما زالت الطليعة الوطنية فى هذا الاقليم ترزح تحت عبء التقاليد الاسلامية القديمة والروح المتزمتة ، مما ساعد العائلات القديمة بنجاح على مقاومة المكاسب الشعبية التى أحرزها اخوانهم فى نيجيريا • لذلك احتفظت الزعامة الاسلامية المتزمتة بقوتها فى الشمال ، بينما تسعى الطليعة الشابة المثقفة فى الجنوب الى بناء كيانها الاجتماعى •

عند هذه المرحلة لا يملك المرء سوى اثارة مجموعة من الاسئلة ، وقديقود الى الاجابة على هذه الاسئلة ، البحث واستقصاء الحوادث فى نيجيريا بصفة خاصة وفى أفريقيا بصفة عامة :

١ ـ هل الطليعة النيجيرية الحديثة قادرة على قيادة نيجيريا الى وحدة قوية مستقلة ؟

٢ ـ هل تسيطر الطليعة على كل من الشعب والطبقات ذات المستوى الاجتماعى والثقافى المرتفع ؟

٣ ـ هل تؤدى المنافسة بين الطليعة الى التنازع والتفكك الذى قديؤدى بدوره الى خلق قوة هدامة بمجرد الحصول على الاستقلال ؟

٤ ـ هل اتسجمت النظم الغربية مع العهد الجديد بدرجة يمكن معها التغلب على المشاكل المستقبلة المختلفة والتى تأخذ مظهرا شاذا فى أفريقيا ؟

٥ ـ هل من الواجب على قادة المستقبل الاستمرار فى السفر الى الخارج للاستزادة من التدريب والتطور فى البناء الاجتماعى والثقافى للغرب ؟

٦ ـ كيف يمكن للقائد النيجرى أن يحتفظ بطابعه وشخصيته دون التأثر بالغرب بصفة عامة ، وبالولايات المتحدة الامريكية بصفة خاصة ، وأن يحتفظ بمركزه وكفاءته أمام القوة الداخلية التى يجب عمل حسابها ؟

٧ ـ هل اكتسبت هذه الطليعة الكفاءة اللازمة للتصرف دبلوماسيا على المستوى الدولى وعلى أسس واقعية ؟

٨ ـ هل يمكن للدول الاجنبية أن تثق فى القرارات التى يتخذهاالحكام؟

٩ ـ هل من المرجح أن يتأثر هؤلاء الزعماء بالرواسب القديمة التى علقت بنفوسهم نتيجة نشأتهم فى بيئته لها تقاليدها الاجتماعية والثقافية ؟

١٠ـ هل تعلم القيادة حقيقة ماذا تريد ؟ وم اهى برامجهم العاجلةمن أجل تقدم نيجيريا وأفريقيا ؟

١١ـ أين تضع القيادة النيجيرية نفسها من القيادة الاسيوية والاوروبية والكاريبية المعاصرة ؟

١٢ـ هل التيار القيادى أفريقيا فى روحه ، أم أنها مركبا معقدا من المؤثرات الغربية ؟

١٣ـ ما الذى يدور فى مخيلة القيادة بالنسبة للمستوطنين البيض بعد الحصول على الاستقلال الكامل سياسيا واقتصاديا وثقافيا ؟

١٤ـ هل تحاول القيادة الاندفاع بسرعة الى الامام وبخطى سريعة فى سبيل تقدم الشعب اقتصاديا وسياسيا ؟

١٥ـ هل القيادة النيجيريون قادرون على التغلب على مشاكل بلدهم فى وسط هذه الدوامة منالشعارات المختلفة التى تملأ نيجيريا وغيرها من الدول المجاورة (العنصرية ـ أفريقيا للجميع ـ الاشتراكية ـ الشيوعية ـ الديمقراطية الغربية ـ الناصرية) .

وعلى ضوء الاعمالالتى ستقوم بها الطليعة فى نيجيريا، وعلى ضوءالمكاسب التى ستحققها ، يمكن تقييم النجاح الذى أحرزته والذى يجيب على هذه الاسئلة وغيرها من الشئون التى تتعلق بنيجيريا وأفريقيا .

٤

دور التعليم فى تكوين الشباب الأفريقى

بقلم : هورانس مان بوند Horance Mann Bond

التعريف بالكاتب

- خريج جامعة لنكولن ٠
- دكتوراه من جامعة شيكاغو ٠
- كان مديرا لـكل من جامعتى فورت فالى Fort Vally فى جورجيا ولنكولن فى بنسفانيا ٠
- كان أيضا عميدا فى جامعة دلارد Dillard
- يشغل حاليا عميد مدرسة المعلمين فى جامعة أتلانتيا Atlantia
- ألف ثلاثة كتب منها « تعليم الزنوج فى ألاباما »، « دراسة فى القطن والصلب ٠
- كتب فى معظم الجرائد الامريكية الشهيرة ٠
- رئيس الجمعية الامريكية للحضارة الافريقية ٠

* * *

فى أول زيارة قمت بها فى غرب أفريقيا فى أكتوبر سنة ١٩٤٩، اكتشفت الشهرة الكبيرة لجامعة لنكولن ٠ وبينما كنت فى فندق ايربورت فى أكرا وأنا فى طريقى الى نيجيريا أحسست بهذه العزلة الكئيبة التى يشعر بها الاجنبى فى أى بلد غريب ٠ والحق أن الرسميين البريطانيين عاملونى بلطف وكرم ٠ ولقد ابتسموا ببشاشة عندما أخبرتهم بسذاجة عن أملى فى رؤية نكروما الذى كان مختبئا فى ذلك الوقت ٠ وقد كان واضحا أن جهلى بالاوضاع وعدم لباقتى هما اللذان دفعانى الى البحث عن صحبة هذا المحرض المتعصب من الاوباش كما كان يطلق عليه آنذاك ٠

وبعد أن أعيتنى الحيل أخذت أحد الحمالين فى الفندق جانبا وأفضيت اليه يائسا بقصتى ، فقد أخبرته بأننى لا بد أن أرى نكروما بأى وسيلة. وعندما اكتشفت أن هذا الرجل ينتمى الى قبيلة الايبو فى نيجيريا استرسلت معه فى الكلام وأخبرته أن نكروما وأزيكوى كانا ضمن طلبتى فى جامعة لنكولن عندما كنت مديرا لها .

وقد كان تصريحى هذا بمثابة الكلمات السحرية التى فتحت أمامى كنز الثقة والصداقة ، فقد فغر الرجل فاه من الدهشة وقال :

أنت تعرف زك ؟ أنت تعرف نكروما ؟ أنت قادم من جامعة لنكولن ؟

عند ذلك ما لبثت الدنيا وكأنها ملك يمينى أو على الاقل ملكت زمام ذلك المحيط من العمال الافريقيين فى فندق ايربورت وسرعان ما اتسعت رقعة هذا المحيط حتى شملت أكرا بأجمعها . وفى خلال نصف ساعة زارنى أحد أعوان نكروما للتمهيد للمقابلة .

وحتى عام ١٩٤٩ كان كل من نكروما وآزيكوى بمثابة الشعلة التى أنارت الطريق أمام الافريقيين فى كل مكان وأصبحت جامعة لنكولن أشهر من نار على علم بين جميع الافريقيين ، واكتسبت بذلك شهرة فاقت أى معهد علمى آخر فى العالم .

يعتبر هذا المعهد صغير جدا فى حجمه بالقياس بأى جامعة فى أى مكان فى العالم . ولم يتعد عدد طلبته قبل الحرب الثانية ٣٥٠ طالبا . وفى عام ١٥٤ قفز عدد الطلبة الى ٤٠٠٠ طالب من بينهم ١٦١ طالب أفريقى .

وان جامعة لنكولن لا تفخر بأنها خرجت رئيسين لدولتين أفريقيتين فحسب ، بل أنها نفخر برجلين تنفست شعوبهما عن طريقهما عبير القومية الحبيب ، وبالاضافة الى هذين الاسمين الكبيرين اللذين ساعدا على جعل اسم جامعة لنكولن مرادفا للقومية الافريقية ، فان المرء يمكنه أن يحصى أربعة وزراء آخرين وعضوا فى الجمعية التشريعية وأساتذة فى الجامعات وأطباء أكفاء في جميع أنحاء غرب أفريقيا وكلهم خريجو جامعة لنكولن . وحتى فى جنوب أفريقيا ما زال يعيش القسس المحترفون الذين يفتخرون بتخرجهم من جامعة لنكولن منذ أكثر من خمسين عاما مضت . وما زال يفد الى جامعة لنكولن طلبة من جنوب أفريقيا ـ الكاميرون ـ كينيا ـ الصومال .

وأصبحت الآن جامعــة لنكولن رمزا للحرية فى جميع أنحــاء أفريقيا ، ومحط آمال الشباب فى كل مكان من القارة • وفى أثناء رياستى للجامعةفى الفترة من ١٩٤٥ حتى ١٩٥٧ كان يرد الى كل عام أكثر من ألف طلب التحاق من الشباب الافريقي ، كانوا يمثلون أفريقيا من الشمال الى الجنوب، من كل مستعمرة أو قبيلة أو مديرية أو قسم •

ان هذا الاثر الكبير الذى تركته جامعة لنكولن فى الشباب الافريقى انما هو مستمد من الفكرة الاساسية فى تأسيس هذا المعهد • ففى عام ١٨٥٣ فى حفلة ارساء الحجر الاساس للمعهد وضح منشىء الجامعة John Miller Dickey الامل الذى يراوده والذى يأمل أن يتحقق على يد خريجى المعهد أوضح ذلك بالعبــارة التالية « أرجو أن يعمل خريجو هــذا المعهد على رفع مستوى الافريقيين فى كل من أمريكا وأفريقيا الى أرقى المستويات الاجتماعية والحضارية بين شعوب الارض » •

أسست جامعــة لنكولن على يد قسيس خدم فى كنيسة البرسباثيران ، وكان ابنا لقسيس أيضا • وحتى عام ١٩٤٥ كانت هذه الكنيسة هى التى ترعى المعهد •

ولد John Miller Dicky عام ١٩٠٦ وتربى فى جو ثقافى تسوده روح المساواة بين جميع الاجناس فى قدرتها على الحصول على المعرفة وفىحكم نفسها • وقد كان هذ الاعتقاد من العناصر الحاسمة فى انشاء جامعة لنكولن وتلقينه الافريقيين الذين التحقوا بها خلال قرنها الاول • وكقسيس شاب اندمج John Miller Dicky مع جمعية أمريكية استعمارية نظمها مستوطن أمريكى فى ليبيريا عام١٨٢٢ والتى عملت على ترحيل أكثر من ١١ ألف زنجي أمريكى الى ليبيريا قبل عام ١٨٦٠ فى عام ١٨٥٤ تمكن John Miller Dicky من الحصول على تصريح بانشاء معهد Ashmun فى ريف بنسلفانيا على بعد أربعة أميال من كنيسة منطقة اكسفورد • وقام بانشاء أول مبنى للمعهد فى ٣١ ديسمبرسنة ١٨٥٦ وتحملهو وعائلة زوجته الجزءالكبير من النفقات وافتتحت الدراسة فى اليوم التالى بثلاثة طلبة • منهم طالب ليبرى أمريكى المولد يدعى Armistead Miller •

وفى عام ١٨٨٦ أطلق على المعهد اسم جامعة لنكولن تخليدا للشهيدلنكولن وتوسعت الجامعة فأنشأت كليات التجارة والحقوق والطب •

. وقد مرت جامعة لنكولن بفترة ثورية بين ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦ قبيل وصول أزيكوى كطالب فيها وفي عام ١٩٣٢ انضم الى هيئة التدريس أحد الاساتذة الزنوج لاول مرة في تاريخ الجامعة • وقد ساهم في ذلك أزيكوى الذى قاد حركة المطالبة باشراك الزنوج فى هيئة التدريس ، وكان تفكيره في ذلك أنه من القسوة أن تظل كلية للزنوج ٨٦ عاما دون أن يكون ضمن هيئة التدريس بها زنجى واحد •

أما نكروما فقد تلقى العلوم السياسية على يد الاستاذ John Davis الذى كان من الزنوج الاوائل الذين انضموا الى هيئة التدريس بجامعة لنكولن • ويعمل حاليا فى كلية نيويورك •

ولقد كان لاختلاط أعضاء هيئة التدريس البيض والسود بعد عام ١٩٣١ مميزات سيكولوجية كبيرة بالنسبة للطالب الافريقي والزنجى الامريكى • حيث وجد الطلبة للمرة الأولى في حياتهم أنفسهم يندمجون مع البيض فى روح تسودها المودة والاخاء ، واتخذوا منهم أصدقاء يمكن الاعتماد عليهم والوثوق فيهم• ومن ناحية أخرى شعر الطالب الافريقي أو الزنجى الامريكى بأنهم يمكنهم معارضة الرجل الابيض ومناقشته دون عقاب أو مؤاخذة •

ولذلك اتسمت الفترة بين ١٩٢٦ ـ ١٩٤٣ (فترة أزيكوى ونكروما) بالتجرد من الخوف والارهاب ، وعلى الرغم من أن الكثير كان ينتقض جامعة لنكولن الا أنها كانت تتمتع بحرية التحلل من اللوائح والقوانين وخاصة الطلبة المقيمين بالجامعة • وان كاتب هذا المقال ليعزو علاقات نكروما الطيبة بالسير اردن كلارك عقب انتخابات عام ١٩٥١ (كانت هذه العلاقة الطيبة مفاجأة للجميع) يعزو ذلك الى الخبرة التي اكتسبها نكروما في جامعة لنكولن• وفي ذلك الوقت كان الاستاذ جورج جونسن القنصل البريطانى السابق فى مستعمرة ساحل الذهب يحتضن نكروما ويعجب به أثناء دراسته كطالب • وعلى نفس الوتيرة كان لاعضاء هيئة التدريس الزنوج فى الجامعة أثرهم على الطلبة الافريقيين فى اذكاء روح الحماسة فيهم وملء نفوسهم بالطموح والامل فى المستقبل• ونظرا لان معظم طلبة جامعة لنكولن من الفقراء فانهم لا يتورعون من الاشتغال بشتى أنواع الاعمال • وقد اشتغل أزيكوى فى كل شيء : غسيل الاطباق ـ شيال فى فندق ـ عامل فى مصانع الصلب ـ مخبر صحفى • أما نكروما فقد اشتغل بائع سمك فى شوارع هارلم ـ بائع متجول للكتب الدينية ـ عامل فى محطات بناء السفن •

قرأ الطلبة الافريقيون فى جامعة لنكولن الجرائد من كل نوع وخاصة تلك التى تجد مكانها فقط فى كليات وجامعات الزنوج الامريكيين • ولقد كان أزيكوى طالبا مجدا فى الصحافة الامريكية حتى صار مخبرا صحفيا لجريدة بلتيمور الافريقية الامريكية • وبذلك تعلم كماتعلم نكروما بعده الاثر القوى للجريدة التى تعبر باخلاص عن رأى رجل الشارع •

ولذلك فان السحر الذى أضفته جامعة لنكولن على الطلبة الافريقيين كان الجرعة التى صنعت تلك العناصر • فقد تعلم طلبة الجامعة كيف يواجهون الصعاب ويسيطرون عليها وغيرها من المبادىء التى تؤهل للقيادة وخاصة الشعوب المستعمرة • ومن الواضح أن مثل هذا التعليم لم يكن فى متناول الطالب فى أى جامعة من جامعات دول الكومنولث البريطانى أو غرب أوروبا أو الاتحاد السوفييتى أو أى جامعة أخرى فى العالم •

وتعتمد المبادىء التى تلقن للطلبة فى جامعة لنكولن على :

١ ــ ايمان المهضوم فى مقدرته على العلم والحياة •

٢ ــ حرية الفكر والمناقشة والكتابة •

٣ ــ ندوات الشباب المختلف والتى تربطه أوضاع ومستويات متماثلة •

٤ ــ توجيه هؤلاء الذين لا يملكون القوة ويتمنون ملكيتها الى مواطن القوة فيهم •

٥ ــ ايمان القائد الشديد بنفسه وبغيره من الناس نحو هدف معين ، وأن يتمثل بقول بول فى العبرانيين « ما دمنا لا نملك المادة فلاأقل من أن نملك العقيدة والايمان » •

وقد حضر أزيكوى ونكروما الى الجامعة بهذه الروح ، وانه لمن دواعى فخر جامعة لنكولن أنها ساعدت أزيكوى ونكروما وغيرهما من الافريقيين على ما كانت تجيش به صدورهم •

وعلى الرغم من أن هؤلاء الاشخاص حضروا الى الجامعة وأحضروا معهم هذه العقيدة المثمرة الا أنهم لم يكن يتسنى لهم تحقيق ذلك الا بمساعدة هذه السمعة الطيبة لجامعة لنكولن التى وهبت نفسها من أجل الوجود الافريقى • ولولا هذه السمعة الحسنة ما كانت الجامعة بقادرة على اجتذاب أزيكوى ونكروما الى الالتحاق بها •

ان جامعة لنكولن لفخورة بهؤلاء الاشخاص الذين تخرجوا منها وقد ازدهرت ونضجت عقائدهم وسعوا الى تحقيق ما كانت تعتمل به نفوسهم من الآمال •

٥

ماذا يستطيع الزنوج الأمريكيين أن يسهموا به

من أجل النمو الاقتصادى لافريقيا

بقلم : فرانكلين فرازير E. Franklin Frazier

التعريف بالكاتب

- خريج جامعة هوارد ٠
- دكتوراه من جامعة شيكاغو ٠
- أستاذ علم الاجتماع بجامعة هوارد ، بالاضافة الى الانتداب للتدريس فى عدة كليات وجامعات أمريكية ٠
- رئيس قسم العلوم التطبيقية باليونسكو فى باريس من عام ١٩٥١ الى عام ١٩٥٣ ٠
- مؤلف كتاب « البورجوازية السوداء » الذى نشر فى باريس عام ١٩٥٥ وفى نيويورك عام ١٩٥٧ ٠
- حجة فى دراسة العائلات والاجناس والاتصالات الحضارية ٠
- مؤلف كتاب « العائلة الزنجية فى الولايات المتحدة » الذى يعتبر واحد من أشهر المؤلفات الكلاسيكية فى البيئة الانسانية ٠

* * *

مقـــدمة :

منذ الحرب العالمية الثانية تدور المناقشات الكثيرة حول الدور الذى يمكن أن يقوم به الزنوج الامريكيون للاسهام فى التطور الاجتماعى لافريقيا٠وهذا أمر طبيعي لانه عـلى الرغم من أن الزنوج الامريكيين انفصـلوا عن بيئتهم الافريقيـة ، وأصبحوا بيولوجيـا مجموعة مختلطة ، الا أن حقيقـة أصلهم الافريقى لم تفارق عقولهم ٠ وقد أرســل الزنوج الامريكيون الى أفريقيـا

كمبشرين وخاصة بواسطة الكنائس الزنجية للمساعدة فى نشر المسيحية فى أفريقيا ومعاونة مدارس التبشير فى أفريقيا • وقد تلقى كثير من الافريقيين علومهم فى معاهدزنجية فى الولايات المتحدة ، من بينهم اثنان من الزعماء الافريقيين (قوامي نكروما وننامدى أزيكوى) • وفى الآونة الاخيرة أرسلت الحكومة الامريكية الزنوج الامريكيين الى أفريقيا كمساعدين فنيين وكأعضاء فى لجان اعادة بناء أفريقيا اقتصاديا واجتماعيا •

ومع ذلك فان كثيرا من المناقشات التى تدورحول اسهام الزنوج الامريكيين فى النهوض بأفريقيا تعتمد على أسس عاطفية أو تمثل نوعا من الامانى الجميلة •

ولذلك فانني سأقدم في هذا المقال تحليلاحساسا وتقييمادقيقا للامكانيات الحيوية التى يمكن للزنوج الامريكيين أن يقوموا بها من أجل التطور الاجتماعى لافريقيا •

الحقل الاقتصادي :

فى هذا الباب سنبدأ بمناقشة الامكانيات التى يمكن أن يقدمها الزنوج الامريكيون فى الحقل الاقتصادى •

ان المناطق المختلفة فى أفريقيا تحتاج كأى بلد غير مصنعة الى رأس المال لكى تضع الاساس الاقتصادى للدول الحديثة • ولكى تحصل أفريقيا على رأس المال الضرورى ، فانه من الواجب عليها أن تتجه الى الدول الاوروبية أو الى هيئة الامم المتحدة •

وهنا يتساءل المرء ، الى أى مدى يكون الزنوج الامريكيون قادرين على امداد رأس المال لافريقيا ؟ الجواب على ذلك بالنفى وأسباب ذلك واضحة •

ان الزنوج الامريكيين فقراء ولا يتولون أى مراكز حساسة فى معاهد التمويل الامريكية التى تسمح امكانياتها بمد أفريقيا برأس المال التى تحتاج اليه • وقد أثير خلال العشر سنوات الماضية كثير من اللغط حول المركز الاقتصادى المتين للزنوج الامريكيين والثروات الكبيرة التى جمعوها • ولكن بالتدقيق فى هذا الكلام تبين أن هذا القول مجرد هراء ، وأن هذا اللفظ لم يكن الا نوعا من البروبجندا الغرض منها اظهار الزنوج الامريكيين بمظهر الذين لم يضاروا كثيرا فى الولايات المتحدة •

ولم تظهر الطبقة المتوسطة من الزنوج الامريكيين الا خلال العشرين سنة الماضية فقط ٠

وتتكون هذه الطبقة الجديدة من العمال المهنيين أو الفنيين الذين وصلوا فى أجورهم الى مستوى أجور الرجل الابيض ، وهم مبعثرون فى الاعمال الصغيرة المختلفة ٠ وتقدر هذه الطبقة فى الجنوب بحوالى $\frac{1}{8}$ مجموع تعداد الزنوج ، أما فى الشمال والغرب فيصل عددها الى حوالى $\frac{1}{4}$ تعداد الزنوج .

وعلى الرغم من أن متوسط دخل الزنجى فى الشمال يزيد ٥٠٪ من متوسط دخل الزنجى فى الجنوب الا أن متوسط دخل الزنجى فى الشمال ما زال $\frac{2}{3}$ دخل الرجل الابيض ٠

هذا بالاضافة الى أن مشاريع أصحاب الاعمال من الزنوج سواء فى الشمال أو الجنوب لا تتعدى مشروعات فردية تعتمد على رأس مال محدد ٠ ان الزنوج الامريكيين لم يكونوا فى يوم من الايام ملاكا لصناعات كبيرة أو رؤساء فى ادارات التصنيع أو التمويل فى أمريكا ٠ وعلى ذلك فان الزنوج الامريكيين فقراء فى مجموعهم وعاجزون عن امداد أفريقيا برأس المال الذى تحتاج اليه ٠

واذا تركنا التمويل جانبا، فلنا أن نسأل: هل الزنوج الامريكيون قادرون على امداد أفريقيا بالمهارات الفنية والادارية اللازمة لبناء اقتصاد أفريقيا الحديث ؟

ظهر من المناقشة السابقة أن خبرة الزنوج الامريكيين فى الادارة محدودة بأعمالهم الصغيرة ٠ وتنحصر هذه الخبرة فى شركات التأمين والصحافة الزنجية ٠ وقد بدأ الزنوج فى الوقت الحاضر يكتسبون بعض الخبرة فى أقسام المبيعات فى شركات صناعة وتوزيع السجاير والوسكى ٠ ولكن هذا النوع من الخبرة من القصر والضيق بدرجة تجعلها قاصرة عن الاسهام فى حل المشاكل الادارية التى تواجهها أفريقيا للاشراف على اقتصادياتها ٠ ولا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا ان الافريقيين أنفسهم قد اكتسبوا من الاشتراك فى مجالسهم التشريعية والتعاونية فى غرب أفريقيا خبرة أكثر من تلك التى اكتسبها الزنوج الامريكيون من أعمالهم البسيطة ٠

أما فيما يتعلق بالمهارة الفنية وخاصة الزراعة ، فانه مما لا شك فيه أن الزنوج الأمريكيين قاموا بتدريس الطرق العلمية الزراعية فى بعض أجزاء أفريقيا ٠ كما أنهم نجحوا نجاحا كبيرا فى تدريب الافريقيين على الطرق

الحديثه في الزراعة وفيمساعدتهم على حل بعض مشاكلهم الزراعية • ولكنهم من جهة أخرى ينجحوا فى تدريب الافريقيين على المهارات الفنية الصناعية للسبب الآتى :

الزنوج الامريكيون حديثو عهد بالمهارات الصناعية الحديثة ، حيث أنهم استبعدوا من الاشتغال بكثير من الصناعات ومن الاشتراك فى اتحادات العمال ومن الالتحاق بالمدارس الفنية التي يمكنهم أن يتدربوا فيها على المهارات الصناعية • ولا يسمح للزنوج الامريكيين حتى يومنا هذا بالالتحاق بأى مدارس فنية في الجنوب مثل زملائهم البيض • هذا بالاضافة الى أنهم مستبعدون نهائيا من الاشتغال بصناعة النسيج فى الجنوب • والحقيقة أن الافريقيين فى أفريقيا الاستوائية يمارسون أعمالا أكثر مهارة من تلك التى يمارسها الزنوج الامريكيون في أمريكا • وتبعا لذلك فانه يبدو أن الافريقيين يفوقون الزنوج الامريكيين فى المهارات الصناعية التى تحتاج اليها أفريقيا فى التصنيع •

الحقل السياسي :

نأتي بعد ذلك الى مناقشة مقدرة الزنوج الامريكيين على المساهمة فى التطور السياسى لافريقيا • وهنا أيضا يجب علينا أن نقيم امكانيات الزنوج الامريكيين من حيث المعرفة والخبرة والمهارة • فعلى الرغم من أن الزنوج الامريكيين عاشوا فيما يسمى بالمجتمع الديمقراطى الا أن خبرتهم بالشئون السياسية كانت محدودة بشدة وتسطرف • ففى خلال الفترة القصيرة لاعادة بناء الجنوب ، اكتسب الزنوج خبرة لا بأس بها فى الشئون السياسية وتبعا لذلك خرج من بينهم بعض القادة الاكفاء • حيث انتخب ٢٢ زنجيا فى مجلس النواب وزنجيان فى مجلس الشيوخ الامريكى • ولكن بعد أقل من عشر سنوات من اشتراك الزنوج بالسياسة في الجنوب ، استؤصل الزنوج بشدة من الحقل السياسى وما أن جاءت سنة ١٨٨٠ حتى حرموا تماما من حقوقهم السياسية • ولم يستأنف الزنوج الامريكيون نشاطهم السياسى على نطاق واسع حتى بعد هجرتهم الجماعية الى المدن الشمالية خلال الحرب العالمية الاولى وبعدها • وكنتيجة لهذا المركز السياسى الجديد للزنوج فى الشمال، يوجد ثلاثة زنوج كأعضاء فى الكونجرس الامريكى هذا علاوة على الزنوج القضاة وأعضاء مجالس المدن والمجالس التشريعية فى المدن الشمالية • ومنذ أن أصدرت المحكمة الامريكية العليا حكمها بعدم شرعية الديمقراطية البيضاء فى الجنوب ، تضاعف عدد الزنوج الذين قيدوا أسماءهم فى جداول الانتخاب وخاصة فى المناطق الصناعية خلال العشر سنوات الماضية •

وعلى الرغم من اشتراك الزنوج الامريكيون فى السياسة الامريكية ، الا أنهم محرومون من الاشتراك فى المجالس العليا التى تحدد السياسة الامريكية. وحتى بعد أن استشار كبار المسئولين الامريكيين Mr Booker T. Washington فى بعض الشئون ، فان ذلك لم يكن الا نوعا من الحكم غير المباشر حيث أن الزنوج كانوا معزولين سياسيا فى ذلك الوقت . وحتى بعد أن سمح للزنوج بالتعيين فى الحكومة ، فانهم لم يكونوا سوى مستشارين للبيض فى الشئون المتعلقة بالزنوج . وحتى فى وقتنا الحاضر الذى يلعب فيه الزنوج الامريكيون دورا هاما فى السياسة فى المدن الشمالية نجدهم لا يحتلون مقاعد فى المجالس العليا للدولة .

ومن الواضح تبعا لذلك أن الزنوج الامريكيين ليس لديهم الخبرة أو الاتصالات التى لدى الاعضاء الافريقيين فى البرلمان الفرنسى ، والاهم من ذلك أن الزنوج الامريكيين ليس لديهم خبرة الافريقيين فى النضال من أجل الحصول على القوة السياسية . هذا بالاضافة الى أن الزنوج الامريكيين لم يسبق لهم تحمل تلك المسئوليات التى تحملها القادة الافريقيون كرؤساء للدول الجديدة .

ويعزى نقص الزنوج الامريكيين فى التربية السياسية الى انعزالهم فى الحياة الامريكية ونقصهم فى القوة السياسية الحقيقية . فقد عوملوا كقصر تتولى شئونهم المنظمات الانسانية أحيانا، والوكالات الحكومية أحيانا أخرى. وكان نشاطهم السياسى ينحصر فى المجتمعات الزنجية المعزولة أو الكنيسة الزنجية أو جمعيات الصداقة . وحتى بعد أن هاجر الزنوج الى المدن الشمالية، وبدءوا الاشتراك فى الحياة السياسية للمجتمع الامريكى ، لم يكونوا الا جزءا من الاجهزة السياسية التى يسيطر عليها البيض . ولذلك فانهم لم يكتسبوا الا الخبرة فى السياسة المحلية الملتوية ، ومن البديهى أن هذا النوع من الخبرة لا يؤهلهم لهذا النوع من القيادة التى تحتاج اليه أفريقيا اليوم . هذا علاوة على أن الزنوج الامريكيين ليس لديهم أى فلسفة سياسية اللهم الا الانتهازية الضيقة التى تفيد بطريقة أو أخرى فى السياسة المحلية ذات القوة المحدودة .

القيادة الثقافية :

فى هذا الباب سنناقش الزنوج الامريكيين ذوى التدريب العلمى والمهنى، وقادة الفكر فى الفنون والفلسفة والعلوم الاجتماعية . وعندما نتناول هذا الموضوع ، فانه من الضرورى أن ننظر أولا الى طبيعة التعليم بالنسبة لمن يطلق عليهم الطليعة المثقفة بين الزنوج الامريكيين .

ظهرت الطبقة الزنجية المثقفة بعد حرب التحرير نتيجة للجهود التبشيرية للرجل الابيض وخاصة هؤلاء المبشرون من ينوانجلاند الذين اعتنقوا المثالية واعتقدوا فى ذكاء ومقدرة الزنوج • وقد قوبل هؤلاء بالمعارضة العنيدة من جانب البيض فى الجنوب • ولكن هؤلاء تمكنوا من المضى فى أداء رسالتهم بمساعدة المثاليين فى الشمال والذين كانوا يمثلون الرأسمالية الصناعية الشمالية • وعلى أى حال فان المثاليين فى الشمال لم يكونوا يعملون لصالح الزنوج بنفس الحرارة التى كان يعمل بها المثاليون من المبشرين ، لانالاولون لم يكن يهمهم الا الوصول الى اتفاق مع البيض فى الجنوب يضمن لهم بيئة مسالمة صالحة لاستثماراتهم • ومن خلال هذا التناقض بين البيض المهتمين بتعلم الزنوج ، ظهر انفصال واضح بين هؤلاء الذين يطالبون بالتعليم الصناعى للزنوج ، وبين هؤلاء الذين يطالبون بتعليم أعلا من ذلك •

ولم يكن هذا التعارض بين المدرستين مجرد مناقشة حول تعليم الزنوج ، بل أنه كان أكثر عمقا من ذلك لانه كان يتعلق بموقف الزنوج بصفة عامة فى الجنوب فى عهده الجديد • وقد ساند المثاليون الشماليون Mr. Boak"r T. Washington الذى أسس معهد توسكيجى Tuskegeé والذى تبنى سياسة التعليم الصناعى للزنوجوتقلد منصب مديرالتعليم الصناعى • وكان الغرض من هذا النوع من التعليم تأهيل العمال الزنوج للصناعة • أما W. E. B. Du Bois (الرائد الاول للتعليم العالى للزنوج) فقد عارض بشدة التعليم الصناعى للزنوج على أساس أن هذا النوع من التعليم لم يكن سوى رمزا لسياسة التفرقة العنصرية والتبعية الزنجية فى الجنوب •ونتيجة لهذا التناقض كانت المدارس الزنجية التى تمنح تعليما أعلا للزنوج توضع فى طريقها العقباتالمالية بايعاز من الشماليين البيض وأصحاب المؤسسات• واستمر هذا العنت المالى حتى العشر سنوات الثانية من القرن العشرين عندما غيرت هجرة الزنوج الى الشمال من علاقاتهم بالمجتمع الامريكى •

ومع ذلك فان الغالبية من الزنوج المثقفين تلقوا تعليمهم العالى فى مدارس الزنوج التى خصصت للتعليم العالى • وما زال هذا الوضع سائدا لحد كبير على الرغم من العدد المتزايد من الزنوج الذين يلتحقون بالكليات والجامعات فى الشمال ، حيث أن الغالبية من المثقفين الزنوج يتلقون تعليمهم العالى فى الجنوب • ونتيجة لذلك لم يكتسب الزنوج الامريكيون المثقفون هذا القدر من الثقافة الذى يمكن أن يخدم التطور الاجتماعى فى أفريقيا • حقيقة يوجد بعض المثقفين الزنوج الذين هم على درجة عالية من الحذق والمهارة العلمية

والمهنيـة ، الا أن هذا العـدد أقل بكثير من أمثالهم من الافريقيين • وحتى هؤلاء الزنوج الامريكيون الذين على درجة عالية من التدريب العلمى تحتاج اليهم أمريكا •

وبجانب انخفـاض مستوى الـكليات الزنجية فى الجنوب عن الـكليات والجامعات فى الشمال ، فان الاولى تسيطر عليها تقاليد دينية متزمتة تحد من التطور الثقافى للزنوج الامريكيين وتجعلهم فى شبه عزلة عن الجماهير •

وجدير بالذكر فى هذا المجال أن الزنجى الامريكى المثقف كان يحـاول التقرب الى الرجل الابيض بمحاكاته فى السلوك والطباع ، ولـكن الرجل الابيض لم يستجب لهذا التقرب واستمر فى نبذه للزنجى المثقف ومساواته مع بقية قومه من الزنوج فى عدم صلاحيته ، عند ذلك لم يجد الزنجى المثقف بدا من الاتجاه بشعوره ثانية نحو قومه الزنوج ، ان الزنجى المثقف حساس جدا لاى احتقار يوجه نحو الزنوج أو الافريقيين ، ولـكنه مع ذلك شغوف بالتملص من الزنوج أو الافريقيين مدعيا بأنه أمريكى فقط • انه يعلق أهمية كبرى على تقبل الامريكىالابيض له ، ويسعدهجدا أن يكون أقرب الى البيض من السود •

وابان البعث الزنجى بين ١٩٢٠ ــ ١٩٣٠ ، اكتسب الزنوج المثقفوننظرة جديدة نحو الزنوج أو الافريقيين • وقد كان المفروض فى البعث الزنجى أن يبشر بظهور الزنجى الجديد فى الفن والادب • لقد كان الزنجى الجديد جديدا بقبوله الاعتراف بذاتيته دون أعذار ، وبقبوله وضع الزنوج فى أمريكا •

لقد واجه العالم بثقة وعزم على أن من حقه أن يقوم بدوره فى خلق العالم الجديد • ولكن ما لبثت هذه النظرة الجديدة للزنوج أن ضـاعت فى طوفان الطبقات المتوسطة التى زادت فى الكم والكيف •

وتبعـا لذلك ما لبث الزنوج المثقفون الى الارتداد نحو الرجـل الابيض ينشدون فقط قبولهم فى المجتمع الابيض •

وقد أزيح الستار عن مدى الصلة الوثيقة فى الشعور بين المثقفين الزنوج وقومهم بهذا التساؤل الذى يوجهونه دائما لانفسهم :

هل من الواجب على العالم الزنجى أو طالب الدراسات العليا أن يدرس أصله ؟

هل من الواجب على الفنان الزنجى أن يستعمل مواضيع زنجية ؟

هل يوجد ذلك الشخص الذى يطلق على نفسه شاعر أو فنان زنجى ؟

وتأتى الاجوبة على هذه الاسئلة جميعها بالنفى ، ذلك لان الكتاب أو الفنانون الزنوج بصفة عامة ينظرون الى أنفسهم على أنهم أمريكيون فقط وأنهم ليس لديهم اهتمام خاص بالزنوج ، هذا باستثناء بعض الشواذ مثل Langston Hughes ، Richard Wright وتبعا لذلك فقد المثقفون والفنانون الزنوج شخصيتهم بهذه الورطة التى أوقعوا أنفسهم فيها وذلك باستبعاد أنفسهم من الاصل الزنجى أو الافريقى ٠

ولم تظهر للمثقفين الزنوج فى الولايات المتحدة فلسفة تتعلق بمعنى الوجود الانسانى ٠ صحيح أنهم لم يقبلوا فلسفة الذل والخنوع التى تستولى على جماهير الزنوج، الا أنهم فشلوا فى اظهار أى فلسفة جديدة أو معنى للوجود ٠ ويعزى ذلك نسبيا الى مستوى التعليم المنخفض للمثقفين الزنوج ونسبيا الى عزلتهم العقلية والاجتماعية فى الحياة الامريكية ٠ لقد تأثروا تأثرا سطحيا فقط بالتيارات الفلسفية للعالم الحديث ٠ ولكن هذه الفلسفات الحديثة ومدارس الفكر المختلفة التى أثارت الناس فى العالم الحديث لم تكن ذات معنى بالنسبة للزنجى المثقف الذى يعيش فى عالم تمتص فيه احتياجاته المعيشية اليومية جميع طاقاته ٠ لقد أظهر المثقفون الزنوج فلسفة غير ناضجة للانتهازية ، ويبدو أن ذلك يرضى وجودهم الانعزالى فى دنيا الرجل الابيض ٠ ويظهر أنهم لم يتأثروا بالثورة الكبرى فى العالم الحديث الا بقدر ما يؤثر على كيانهم الاجتماعى فى الولايات المتحدة ٠ ولقد سئل أحد المثقفين الافريقيين عن رأيه فى عدد من المثقفين الزنوج ، فأجاب بأنه ظن أنهم نيام ٠

القيادة الروحية :

نصل أخيرا الى التساؤل عن القوة الروحية التى يمكن أن يمد بها الزنوج الامريكيون أفريقيا فى تطورها الاجتماعى ؟

كما أن مساهمة الزنوج الامريكيين فى الحقل الاقتصادى والسياسى لافريقيا يكيفها مدى نظرتهم الى التفاعلات الجارية فى العالم الحديث ، كذلك فان مساهمتهم الفكرية أو الثقافية أو الروحية يكيفها مدى شغفهم الخاص وتقديرهم لبعض القيم ٠

لقد أشرنا سابقا الى أنه على الرغم من انفصال الزنوج الامريكيين عن بيئتهم الافريقية ، وتحولهم الى مجموعة مختلطة بيولوجيا ، الا أن أصلهم الافريقى ما زال راسخا فى عقولهم • ويقودنا ذلك الى الدلالة على أن الزنوج الامريكيين توارثوا الذكريات التاريخية لافريقيا جيلا بعد جيل ، وأنه لم يسمح قط للزنجى بنسيان أصله الافريقى •

وقد نظر الغالبية من الزنوج أيام العبودية الى أصلهم الافريقى على أنه كان لعنة ووبالا عليهم ، وذلك لان الرجل الابيض حتى القسيس كانوا يلقنونهم أن لونهم الاسود لعنة من الله عليهم وأنهم بسبب هذه اللعنة فرضت عليهم خدمة الرجل الابيض • هذا بالاضافة الى أنهم لقنوا أن الافريقيين أوباش وأكلة لحوم البشر وأنهم ما زالوا فى أولى خطواتهم نحو التمدين •

لذلك هيأ الزنوج العبيد أنفسهم لخدمة الرجل الابيض فى الزراعة ، وتقبلوا كل ما قاله فيما يتعلق بأفريقيا • ولكن الزنوج الاحرار وخاصة المثقفون منهم لم يتقبلوا بالطبع ما قاله الرجل الابيض عن أفريقيا • وخلال النصف الاول من القرن التاسع عشر كان هناك ميل عند بعض الزنوج الى استعمال الاصطلاح أفرو أمريكان والى التفكير فى أنفسهم كأفرو أمريكيين • ولكن كثيرا من الزنوج الاحرار المنافقين أنكروا هذا الاصطلاح وحاولوا الالتصاق بالامريكيين • ولكن بعد تحرير الزنوج وبعد أن أصبح أحفاد الزنوج الاحرار قادة للزنوج زال الاصطلاح أفرو أمريكان تدريجيا وأصر الزنوج على كونهم أمريكيين فقط وأنهم لا صلة لهم بأفريقيا • ولقد زادت هذه الروح وضوحا عندما قام Marcos Garvey بتنظيم الحركة القومية الاصيلة التى بزغت بين الزنوج الامريكيين • فقد عضد زنوج الهند الغربية هذه الحركة بشدة ، ولكن الزنوج الامريكيين المثقفين جحدوا هذه الدعوة لان فى قبولهم لها تأكيدا لاصلهم الافريقى •

وقد يرد على هذا القول بأن كل ذلك كان صحيحا فى الماضى ، أما الآن ونتيجة للتغييرات التى طرأت على العالم فان الزنوج الامريكيين يحسون بشعور جديد نحو أفريقيا • ولكن الرد على ذلك أن رواسب الماضى لا يمكن أن تزول بمثل هذه السرعة ولو أن كثيرا من الزنوج والبيض يحبون نسيان الماضى • ان الآثار التى تراكمت نتيجة لمعاملة الزنوج خلال الرقيق وعلى ممر ثلاثة أرباع قرن على الاقل منذ التحرير ، لا يمكن أن تمحوها عشر سنوات أو حوالى ذلك من المعاملة الطيبة • ويقودنا ذلك الى توضيح كيف أن المعاملة الماضية للزنوج قد أفسدت صلاحيتهم للقيادة الروحية أو الفكرية فى أفريقيا •

ان الزنجى الامريكى لم ينظر الى أصله نظرة جدية ، لانه عومل على أساس انتسابه الى جنسية بدائية ما زامت تحبو أولى خطواتهـا نحو المدنية • وقد ترتب على ذلك ابعاده عن التيارات الرئيسية للحياة الامريكية • وحتى هذا النوع من التعليم الذى هىء للزنوج الامريكيين كان مصمما من أجل أناس منحطين • وقد أثرت كل الظروف على شخصية الزنوج الامريكيين وخاصة فى الجنوب حيث كانوا يدفعون الى القيام بدور الابلة أو البهلوان من أجـل المعيشة

ولقد سارت الامور الى أسوأ من ذلك بالنسبة للزنوج فى الولايات المتحدة وخاصة فى الجنوب حيث كانت تجرى تحطيم شخصية الزنوج ، فالزنجى الذى يظهر شيئا من الشجاعة أو الـكرامة كان لا بد من استئصاله بعكس زميله الجبان الذليل الذى كان يلاقى كل تشجيع للسير فى هذا الطريق • وقد كان هذا السلوك الساذج التافه للزنوج الامريكيين مثار حيرة من المراقبين الاجانب الذين كانوا يقارنون بين ذلك وبين السلوك الكريم الوقور لزملائهم الافريقيين •

فكيف بعد ذلك يتوقع المرء من الزنوج الامريكيين أن يسهموا فى التطور الروحى والفكرى لافريقيا ؟ وحقيقة الامر أن الزنوج الامريكيين لم يكونوا فى يوم من الايام أحرارا قط جسمانيا كان أو نفسيا • وعلى الرغم من كل هذه الضجة حول الوضع الجديد للزنوج فى الحياة الامريكية ، الا أنهم مازالوا بعيدين كل البعد عن التمتع بالحرية التى يتمتع بها الامريكيون الآخرون فى الولايات المتحدة • وليس هناك ما يدعو الى تكرار الكلام عن القيود المفروضة على حريتهم فى الجنوب حيث تمارس التفرقة العنصرية فى أبشع صورها ، وكل ذلك يؤثر على كفاءة الزنوج الامريكيين فى القيام بدور فعال فى النمو الاجتماعى للافريقيين •

ان الانفصال التام للحياة العلمية التى عاشها الزنوج الامريكيون قد حرمهم من تكوين حياة روحية مستقلة • وهناك أسباب أخرى هامة لعبت دورا كبيرا فى منع ظهور الروح المستقلة الحرة •

فقد كان المجتمع الزنجى الامريكى واقعا تحت تأثير مدرستين منفصلتين وهما الكنيسة والمدرسة ، وكلاهما مؤسس على قواعد رئاسية • فكنيسة البابتسست تقع تحت سيطرة قادة أقوياء يحدون من التعبير الذاتى ، وكنيسة الميثوديست كان يسيطر عليها الاساقفة الذين كانوا فى أوتوقراطيتهم أشد

تطرفا من قياصرة روسيا • أما كليات الزنوج فكانت واقعة تحت سيطرة عمداء تسندهم السلطة المطلقة للرجل الابيض أو الزعامة الاوتوقراطيه للكنيسة الزنجية •

ولقد كان لظهور الطبقة المتوسطة الزنجية الجديدة أثر كبير فى تخفيف هذا الارتباك والتناقض الناتج من الوضع الشاذ للزنوج فى المجتمع الامريكى • كما حد ذلك من احتمال اسهام الزنوج الامريكيين فى التطور الاجتماعى لافريقيا • لقد رأينا من المناقشة السابقه أن الطبقة المتوسطة الزنجية الجديدة نصيبها قليل فى الاقتصاد الامريكى • وتتكون هذه الطبقة من العمال الحرفيين الذين وصلوا فى أجورهم الى مستوى الرجل الابيض ، واقتنوا المنازل الغالية والعربات وجميع وسائل الترفية الحديثة •

وقد ساعدت الصحافة الزنجية على خلق العالم الذى تفتقده الطبقة المتوسطة للهرب من الشعور بالنقص • وقد زاد شعورهم بالنقص عندما أصروا على تقليد الرجل الابيض وعلى أنهم أمريكيين لا أفريقيين وذلك دون ظهور أى بادرة من الرجل الابيض لتقبلهم فى مجتمعهم • وعلى الرغم من أن الطبقة المتوسطة الزنجية لا تعترف صراحة برفضها للجنسية الزنجية أو الافريقية ، الا أنها الحقيقة التى تبدو من تصرفاتهم • وقد ظهر واضحا على سبيل المثال عندما صرح أحد محررى الجرائد الزنجية الشهيرة بأنه يمكن للزنوج أن يفخروا الآن فقط بأفريقيا بعد حصول غانا على حريتها • وأيضا عندما نجد أن جميع الاجانب فى أمريكا يعلنون جنسياتهم فى البطاقات المختلفة فى الوقت الذى يتمسك فيه الزنوج الامريكيون بجنسيتهم الامريكية مع التهرب من ذكر أصلهم • وهكذا أصبح الزنوج الامريكيون لا شىء باصرارهم على هذا التصرف •

وهناك بالطبع أسباب تجعل الزنوج الامريكيون يصرون على اعتبارهم أمريكيين فقط ، ولقد أوردنا بعض هذه الاسباب سابقا • هذا بالاضافة الى أن الزنوج فى المجتمع الامريكى عبارة عن سلة مهملات يلقى فيها بالاشخاص غير البيض أو الذين لا ينضوون تحت لواء جنسية أو سلالة أخرى •

ويحتوى سجل الاحصاء الامريكى على باب خاص تحت عنوان «غير أبيض» ويقع تحته جميع الاشخاص من غير البيض • ويكون الزنوج الامريكيون حوالى ٩٥ ٪ من هذا القسم السلبى •

أما الطبقة الزنجية المتوسطة، فانها بدلا من أن تنتسب الى البيئة الزنجية التقليدية فى أمريكا ، أو الى أصلها الافريقى ، بدلا من ذلك نجد أنها تسعى الى الهروب من ذاتيتها السلبية بجعل نفسها سلالة أمريكية نقية ٠

ان الطبقة الزنجية المثقفة لا يمكن أن تخدع نفسها بهذه السهولة ، ولذلك فانهم يبدون قلقين مترددين فى المجتمع الذى يعيشون فيه ٠ ولقد ذكرنا سابقا كيف أن ذبذبة الزنوج الامريكيين قد جمدت نشاطهم كفنانين ومفكرين ٠ لذلك فان الرجل الابيض يفوق الزنجى فى الكتابة عن الزنوج وتجربتهم فى أمريكا ، ويبرز ذلك فى اطار جديد ومن زوايا مختلفة ٠ وقد نتج عن هذا الانعزال الاجتماعى والنفسى للزنجى المثقف ، أنه يبدو جاهلا بالمشاكل الثقافية التى يعالجها الفنانون والمثقفون فى العالم الحديث ٠ وأصبحوا مجرد ببغاوات أو تسجيلات فونوغرافية تردد المشاعر الفكرية والاساليب الكتابية للرجل الابيض ٠ صحيح أنه يوجد النادر من الشواذ فى هذا الشأن مثل W. E. B. Du Bois ، Paul Robenson ، الا أن الرجل الابيض يعتبرهم خطرين ، ولذلك فان الطبقة الزنجية المتوسطة تعتبرهم خطرين أيضا ٠

ان أفريقيا تطالب بقيادة ثقافية واعية تؤمن بالعالم الجديد ، ذلك العالم الذى لا مكان فيه للاضطهاد العنصرى أو الاستعمار أو الاستغلال البشرى ٠ ولكن يبدو أن الطبقات الزنجية المتوسطة الجديدة فى الولايات المتحدة تسعى فقط وراء فرصة للمشاركة فى الاستغلال الذى طردوا منه وما زالوا يطردون منه فيما عدا القليل ٠ لذلك أصبح من الواضح أن أهداف وآمال الافريقيين من أجل خلق عالم جديد لا يمكن أن تحققها تلك الاهداف الهزيلة والآمال الضعيفة للزنوج الامريكيين الذين يسعون الى مجرد الارتماء فى دنيا الرجل الابيض بكل ما فيها من غث وثمين ٠ ان الزنجى الامريكى مستعد أن يدفع الثمن من كرامته وعزته فى سبيل ارضاء الرجل الابيض لكى يقبله فى مجتمعه ٠

وللاسف فانه ليس هناك ما يضمن تقبل المجتمع الابيض للزنوج مهما حاولوا التلاءم معه ٠ فمع كل تقدم جديد يبذله الزنوج للاندماج فى المجتمع الامريكى ، يشعرون بالخيبة والحسرة من تلك القيود الاجتماعية والسياسية التى تفرض عليهم ٠

لذلك فان الزنوج الامريكيين فى محاولتهم الفرار من الخيبة والاهمال والفراغ سيجدون أنفسهم مضطرين الى أن يولوا وجوههم شطر أفريقيا سعيا وراء جذورهم الحضارية والروحية ٠

٦

أفريقيا كما يراها الزنوج الأمريكيون

بقلم : **Ray Ford W. Logan**

التعريف بالكاتب

- تخرج فى كلية وليام ٠
- دكتوراه من جامعة هارفارد ٠
- كاتب تاريخى بارز ورئيس قسم التاريخ فى جامعة هارفارد ٠
- ألف ست مجلدات ، أربعة منها عن التاريخ السياسى العام ، واثنتان عن تاريخ الزنوج الامريكيين ٠
- نشر عام ١٩٤٤ كتابا تحت عنوان « ماذا يريد الزنوج » ٠
- عضو فى لجنة النشر فى مجلة

Hispanic American Historical Review

- سكرتير مؤتمر أفريقيا للجميع Pan African Congress فى أعوام ١٩٢١ ـ ١٩٣٢ ـ ١٩٢٧ ٠

* * *

قليل من الامريكيين هم الذى عندهم معلومات عن أفريقيا كافية تمكنهم من الاحاطة الكاملة بشئونها٠ ولا تزيد معلومات الامريكيين الحالية عن أفريقيا عن معلومات أوروبا عنها منذ قرن مضى ٠ وربما سمع الزنوج الامريكيون الذين ولدوا فى أوائل هذا القرن ، لاول مرة عن أفريقيا من المبشرين الذين يطوفون أنحاء البـلاد فى جمع التبرعات للتبشير فى أفريقيـا ٠ وقد كان هؤلاء المبشرون يعطون صورا مشوهة عن الحياة فى أفريقيا ، اما لعدم فهمهم الكامل بأمورها ، أو بدافع تجسيم الاهوال والمصاعب التى تقابلهم فى سبيل تأدية رسالتهم هناك ٠

وانى أذكر جيدا ذلك الذى كانوا يقولونه عن الفساد الشـائع بين نساء أفريقيا اللاتى يعشن عرآة فى الغابات والاحراش • أما مبشرى اليوم فان عندهم من الخبرة والدراية بالاحوال فى أفريقيا ، ما يمكنهم من اعطاء صورة أحسن لافريقيا •

وقد كان أول من حمل رسالة تعريف الزنوج الامريكيين بأفريقيا ، ثلاثة من الزنوج (اثنان من أمريكا وواحد من الهند الغربية) وذلك فى خلال وفى أعقاب الحرب العالمية الاولى • وقد نادى Du Bois قبل ذلك عام ١٩٠٣ بأن مشكلة السود هى مشكلة القرن العشرين ، كما حذر من المشاكل المعقدة بين البيض والسود فى آسيا وأفريقيا وأمريكا • وفى مؤتمر منظمة أفريقيا للجميع الذى عقد فى لندن عام ١٩١١ والذى عقد لاول مرة لمناقشة التفرقة العنصرية ، والذى أعقبه ثلاث مؤتمرات بعد ذلك فى الاعوام ١٩١٩– ١٩٢١ – ١٩٢٣ ، فى هـذه السلسلة من المؤتمرات لم يسمع الزنوج الامريكيون بالمشكلة فيما عدا هؤلاء الذين حضروا هذه المؤتمرات •

وفى عام ١٩٢٣ انضم الىالمؤتمر قوة اضافية جديدة وهى الجمعية الوطنية لتقدم الزنوج (NAACP) The National Association For The Advancement of Coloured People. وفى المؤتمر الرابع الذى عقد فى نيويورك عام ١٩٢٧ ، كانت النساء الامريكيات الزنجيات هن القائمات على شـئونه • وكان Du Bois من أكثر المتحمسين فى المؤتمر دفاعا عن مصالح الزنوج • ثم جاء بعد ذلك دكتور رالف بانش الذى كان له أثر كبير فى كتابة الفقرات السادسة والسابعة والثـامنة فى وثيقة الأمم المتحدة • ولكن Du Bois كان من أول المطالبين بالحكم الذاتى لافريقيا السوداء فى ذلك الوقت • وفى عام ١٩٤٥ كان Du Bois هو الأمريكى الزنجى الوحيد الذى سافر الىالمؤتمر الرابع لمنظمة أفريقيا للجميع الذىعقد فى لندنوحضره أيضا كوامى نكروما •

وقد كان Marcus Gravery من الشخصيات البارزة التى لعبت دورا كبيرا فى اثارة الزنوج الامريكيين • فقد خرج الزنوج الامريكيون من الحرب العالمية الاولىبخيبة أمل كبيرة فى آمالهم منأجل الحصول على الطمأنينة والمسـاواة بين بنى البشر • وقـد بث فيهم Gravery روح التعصب ووعدهم بالامل فى أن يطرد ال ٤٠٠ مليون زنجى الرجل الابيض من أفريقيا لانشاء جمهورية تحمل اسمه• وعلى الرغم من أنهذه الدعوة سقطت بسرعة، الا أنها أثارت الزنوج فى الهند الغربية وأمريكا وأفريقيا •

وقد أكون مخاطرا اذا ذكرت أن Dr. Carter Woodson كان أكثر فعالية من Du Bois فى لفت أنظار الزنوج الامريكيين الى أهمية أفريقيا، وذلك عن طريق تلك الاجتماعات السنوية التى كانت تنظمها جمعية دراسة حياة الزنوج وتاريخهم The Study of Negro Life & History التى أنشئت عام ١٩١٥ • فقد أثار انتباه الزنوج الامريكيين بأفريقيا فى سلسلة من الاجتماعات التى عقدت فى أنحـاء متفرقة من أمريكا بمناسـبة أسبوع تاريخ الزنوج الذى افتتح عام ١٩٢٦ • وربمـا كان لـ Woodson الفضل أكثر من أى أمريكى آخر فى القـاء الضوء على مملكة غانا فى القرون الوسطى والتى اشتق منها الاسم الحديث لساحل الذهب التى حصلت على استقلالها فى ٦ مارس سنة ١٩٥٧ • ولا يفوتنى فى هذه المناسبة أن أشير الى وجود ناميدى أزيكوى وقوامى نكروما فى سبيل أفريقيا خلال الفترة بين الحرب العالمية الاولى والثانية •

وقد أورد الاسـتاذ وليم ليو William Leo ـ أستاذ التـاريخ القديم والمتوسط فى جامعة هارفارد ـ الدليل الحقيقى لوجود الحضارة الافريقية ، تلك الحضارة التى طالما أنكرها الكثيرون •

ونسرد فيما يلى عددا من العوامل الهامة التى كان لها أثرها فى وجهة نظر الزنوج الامريكيين عن أفريقيا والدول التى ارتبطت بها :

اتحاد جنوب أفريقيا :

بينما كان أصدقاء أفريقيا يجاهدون من أجل اكتساب أنصار جدد ، كان هناك الفارس المضلل الذى يوجه سـهامه بشراسة من أجل سيادة الرجل الابيض فى أفريقيا ، ألا وهو Jan Christian Smuts الذى كان له الفضل الاكبر فى اثارة كراهية زنوج أمريكا ضد اتحاد جنوب أفريقيا• وفى مدينـة نيويورك وفى صـالة Town Hall أعلن Smuts بكل وقاحة أن الزنوج هم أكثر الحيوانات تحملا بعد الحمير • وعندما اعترض Dr. Robert Russa Moton عميد معهد Tuskegee على هذا التصريح ، أجاب Smuts بأنه انما بهذا التصريح يعبر عن اعجابه بالزنوج• وفى أثناء اجتماع مندوبى الدول لارساء قواعد دستور هيئة الامم المتحدة صرح Smuts بأن جنوب أفريقيا بجميع أجزائها متفقة على الاحتفاظ بسيادة الرجل الابيض فيما عدا هؤلاء الزنوج الاغبياء • ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل رفض اتحادجنوب أفريقيا التوقيع على وثيقة حقوق الانسان ، كما رفض التصريح لهيئة الامم بايفاد لجنة الى جنوب أفريقيا لدراسة مشكلة التفرقة العنصرية هناك • كل

هذه الحوادث وحدت بين جميع الزنوج الامريكيين في كراهية اتحاد جنوب أفريقيا بعد كراهيتهم لولاية المسسبى Mississippi فى أمريكا ، وذلك لان جنوب أفريقيا انما كشفت بذلك عن وجهها الحقيقى أمام الزنوج الامريكيين ٠

ايطاليا :

أثار غزو ايطاليا للحبشة عام ١٩٣٥ عطفا شديدا من الزنوج الامريكيين نحو أثيوبيا ٠ وقد كان لنشاط الزنوج الامريكيين الكبير لاستثارة الحكومة الامريكية التى لم تبدى اهتماما واضحا في هذه المناسبة ، كان لهذا النشاط أثر كبير فى أثيوبيا جعلها تتحقق من الكفاءة السياسية للزنوج الامريكيين كقوة يمكن الاعتماد عليها٠ ومن ناحية أخرى حدث تقارب شديد بين أثيوبيا والزنوج الامريكيين عقب الحوادث المتكررة من احتقار الامريكيين للدبلوماسيين الاثيوبيين ٠

ليبريا :

ينظر كثير من الزنوج الامريكيين الى ليبريا نظرة قاتمة ، فقد أثارت الجمهورية الزنجية فى ليبريا اهتماما كبيرا بها عندما أزاح Raymond Leslie Buell عام ١٩٢٨ الستار عن العقد الجائر لشركة فايرستون Firestone ٠ وقد ازداد العطف على ليبريا ضد هذه الشركة عندما رفضت تعيين الافريقيين بها بحجة عدم كفاءتهم لهذه الوظائف ٠ عند ذلك انتظر الزنوج الامريكيون عملا مضادا من الطبقة العمالية أو الحكومة ٠ ولكن شيئا من ذلك لم يحدث حتى أن Du Bois صرح بقوله « ان الجريمة الاولى لدولة ليبريا ، أنها تفضل أن تعيش كدولة سوداء فقيرة فى ظل ثروة العالم الابيض » ٠ وقد انقسم الزنوج الامريكيون بعد ذلك بين مؤيد ومعارض فى أن ليبيريا نجحت فى رفع مستواها تحت رياسة Buell وذلك فى الفترة بين ١٩٣٠ ـ ١٩٤٧ ٠

أما الآن فان الزنوج الامريكيين يترددون فى نظرتهم الى ليبيريا بين الفخر والخجل ، وخاصة بعدما لمسوا حفلات البزخ والمجون التى تقيمها سفارة ليبيريا فى أمريكا ٠

فرنسا :

ينظر الزنوج الامريكيون الى سياسة فرنسا فى أفريقيا نظرة وردية ٠ فقد كان لشعارات الثورة الفرنسية (الحرية ـ المساواة ـ الاخاء) تأثيرها

الخاص علينا . وما زلنا نفاخر بأن هايتى Haiti (احــدى مستعمرات فرنسا السابقة) كانت ثانى دولة تحصل على استقلالها فى العالم الغربى . كما أن لافايت Lafayette عارض العبودية بشدة . وفى خلال الحرب العالمية الاولى ، أعطى الفرنسيون رجالا ونساءا الفهم الصحيح للـكرامة الانسانية لعشرات بل آلاف الفرق الزنجية ، التى كانوا محرومين منها فى أمريكا . وقد حاول الضبــاط والجنود الامريكيون آنذاك اقناع الفرنسيين بحقيقــة الزنوج كأناس همجيين خرج اسلافهم من الغابات ولهم ذيول كالقرود، وأنهم لا يستحقون سوى العبودية ولكن ذلك كان دون جدوى . وقد كان لذلك تأثيره الكبير على الزنوج الأمريكيين لدرجة أنهم كانوا يفضلون خطوط البواخر الفرنسية على الامريكية فى العودة الى أمريكا بعد الحرب .

لذلك فاننا عندما نقول ان فرنسا هى أكثر دول العالم مدنية ، فانما لاننا نحمل لها معنى خاصا فى نفوسنا . ومن بين الاشياء الكثيرة التى نحملها بين جوانحنا هى أنه بينما كان الزنوج أعضاء فى الوفود الرســمية الفرنسية والجمعية الوطنيــة ، نجــد أن أول زنجى أمريكى انتخب لعضوية البرلمان الامريكى كان Oscar De Priest عام ١٩٢٨ .

وهل هناك مدينة أخرى غير باريس احتل فيها الزنوج منــاصب بارزة مثل :

١ ـ Camillé Mortenol الذى رأس قوة الدفاع الجوى عن باريس طوال الحرب العالمية الأولى وذلك على الرغم من المحاولات المستمرة لبعض الضباط الامريكيين لازاحته من منصبه .

٢ ـ Blaise Diagne السنغالى الذى يطلق اسمه الآن على أطول شارع فى داكار ، والذى كان لفترة طويلة نائبا لوزير المستعمرات الفرنسى .

٣ ـ Leopold Senghor السنغالى والذى عمــل كأستاذ فى احــدى جامعات فرنسا .

٤ ـ Felix Edové حاكم مســتعمرة غاد Ghad وكان من أول العاملين على تحرير فرنسا مع ديجول .

٥ ـ Felix Boigny من ساحل العاج والذى كان لعهد قريب عضوا فى مجلس الوزراء الفرنسى .

لذلك يميل الزنوج الامريكيون الى معارضة فرنسا بلطف ازاء سياستها نحو أفريقيا السوداء ، ويعطفون عليها أكثر من أى دولة استعمارية أخرى • وبالطبع قليل من الزنوج الامريكيين هم الذين يعرفون الكثير عن سياسة فرنسا فى أفريقيا ، وقد يكون حاجز اللغة مسئولا عن ذلك ولكن ذلك ليس بالعذر الكافى على أى حال • فهناك نشرات هيئة الامم ومناقشاتها عن هذه السياسة ولكن لا يقرؤها الا القليل • وحتى كتاب John Gunther بعنوان « فى داخل أفريقيا » الذى يعتبر من أكثر الكتب التى قرأها عدد كبير من الزنوج الامريكيين ، حتى هذا الكتاب يعتبر من أضعف المؤلفات فى ناحية أفريقيا الفرنسية • واذا كان المرء ينظر بارتياب الى نشرات السفارة الفرنسية فى أمريكا ، فهناك كثير من المراجع الموثوق بها مثل :

Africa Digest, Africa Today and Africa Special Report.

أفريقيا المسلمة :

يمثل العامل الدينى لافريقيا الفرنسية صعوبة فى تكوين فكرة واضحة عند الزنوج الامريكيين ، فالزنوج الامريكيون الكاثوليك يتعصبون بشدة ضد الشيوعية والاسلام ولقد عجزت أجهزة المخابرات حتى الآن أن تحدد الى أى مدى تتسرب الشيوعية الى أفريقيا بطريقة مباشرة أو من طريق القاهرة • وبالتالى فانه من الصعب تحديد الرابطة بين الشيوعية والقومية الاسلامية وخاصة فى شمال أفريقيا وفى القومية الاسلامية غير الشيوعية جنوب الصحراء • ومن ناحية أخرى نجد أن بعض الزنوج الامريكيين (وخاصة غير الكاثوليك) يتحمسون ويعضدون الفورة الاسلامية الشاملة ، وذلك لان الكولونيل ناصر مصرى ، وكثير من المصريين زنوج • وقد صوب ناصر هدفه بدقة كرأس حربة لتحرير أفريقيا السوداء ، حيث أصدر التصريح الآتى منذ خمس سنوات أثناء مناقشته للمسائل العربية والاسلامية :

« لا يمكننا بأى حال من الاحوال أن نقف مكتوفى الايدى أمام هذا الصراع الدموى الرهيب الذى يحدث فى أفريقيا اليوم بين خمسة مليون رجل أبيض و ٢٠٠ مليون أفريقى • وذلك لسبب واضح ومهم وهو أننا نعيش فى أفريقيا • وستستمر الشعوب الافريقية فى التطلع الينا ـ نحن الذين نحمى البوابة الشمالية لافريقيا ، ونكون الحلقة التى تربطها بالعالم الخارجى ـ لا يمكننا تحت أى ظرف من الظروف أن نتخلى عن مسئولياتنا نحو العمل بكل ما أوتينا من قوة من أجل ايصال النور والمدنية الى أعماق الغابات فى أفريقيا » •

ونحن نتساءل بدورنا عن عدد الزنوج الذين أكبروا روح الكولونيل ناصر كمحرر لافريقيا جنوب الصحارى ، وتأثير ذلك على جيرانه من الحكومات والاحزاب المعارضة في السودان وأثيوبيا وأوغندا (أقرب الدول المجاورة له) • والاكثر من ذلك أن التغييرات السريعة في ميزان القوى في كل من الشرق الادنى الاوسط ، وتسرب ناصر وكل من روسيا وحلف الاطلنطى ، كل ذلك أحدث تأثيرا مختلطا بين الاسلام والشيوعية على أفريقيا جنوب الصحارى •

انجلترا :

كان الزنوج الامريكيون ينظرون حتى عهد قريب الى انجلترا بعين الشك والريبة نحو نواياها السلمية فيما يتعلق باعلانها الحكم الذاتى لجميع البلاد المحتلة • فقد قاسى الزنوج في انجلترا أكثر مما قاسوه في فرنسا • كما أن انجلترا خضعت لضغط اتحاد جنوب أفريقيا ونفت Seretse Koma من بلاد Bechuanland لانه تزوج من فتاة انجليزية بيضاء ولجهل الزنوج بطبيعة العلاقات بين انجلترا ودول الكومنولث ، فقد ألقى بعضهم اللوم على انجلترا لعدم منعها لاتحاد جنوب أفريقيا من المضي في خطتها نحو سياسة الفرقة العنصرية ، وقدربط الزنوج الامريكيون بين ذلك وبين معاملة انجلترا القاسية لجماعة الماو ماو • وحتى الآن لم تنجح في اقناع المستوطنين البيض في كينيا وشمال روديسيا ونياسلاند وتنجانيقا بالاسراع في خطواتهم السلحفائية لاشراك الوطنيين في الحكم• تشير الاخبار القريبة الى أن الاحزاب الحاملة في اتحاد روديسيا ونياسالاند قد حصلت على السيطرة •

غانا :

أوفت انجلترا بوعدها فيما يتعلق بمنح الحكم الذاتى لساحل الذهب • وقد فرح الزنوج الامريكيون جميعهم وبدون استثناء عندما حصلت غانا على استقلالها في ٦ مارس سنة ١٩٥٧ • ومع ذلك فان هؤلاء الذين يتتبعون الحوادث عن قرب ـ وخاصة هؤلاء الذين قرأوا كتابات ريتشاردز « القوة السوداء »ينظرون بشيء من الخوف الى شعارات الحزبية والفردية والاقليمية السائدة هناك • أما المراقبون المدققون فينظرون الى غانا يحدوهم الامل في أنها تقابل المشاكل المتزايدة التى تحيط بالدول الحديثة بصفة خاصة •

نيجيريا :

أصيب معظم الزنوج الامريكيين بخيبة أمل لان نيجيريا لم تحصل للآن على استقلالها• وتشير الاصابع الى اتهام بريطانيا باثارة الشقاق بين الجماعات

هناك لتأخير هذا الحدث الذى ينتظره الجميع بشغف • ويرى بعض المراقبين أن نيجيريا تعانى أكثر من غانا بسبب عوامل الفرقة التى تمد جذورها الى أعماق بعيدة والتى تؤدى بالتالى الى ظهور الحزبية والفردية والاقليمية بوضوح •

أفريقيا البرتغالية :

لا يعرف الزنوج الامريكيون فيما عدا القليل منهم شيئا عن أفريقيا البرتغالية، لذلك فانهم ليس لديهم الفكرة السليمة لمناقشتها ، وليس هناك أمل قريب فى امكان الحصول على معلومات اضافية • فان دكتاتورية سالازار Salazar فى البرتغال ، تحول دون زيارة الزنوج لموزمبيق أو أنجولا • ويعلن هذا الدكتاتور المخادع أن هذه المستعمرات ماهى الامقاطعات برتغالية، وأن ذلك يرجع الى ما قبل السماح للبرتغال بالانضمام لهيئة الامم المتحدة • واستنادا الى ذلك فانه لا يتقدم بأى تقريرات سنوية عنها الى تلك الهيئة •

الطلبة الامريكيون :

فى ربيع عام ١٩٥٨ استطلعت رأى الفصل الذى أدرس له فى جامعة هارفارد عن أفريقيا • وفيما تلخيص لتلك الآراء مع العلم بأنها لا تشتمل على الآراء التى قد أكون قد عرضتها فى محاضراتى لهم :

١ ـ فى هذه المجموعة أسرد تعبيرات بعض الطلبة الى أفريقيا

القارة السوداء ـ القارة الغامضة ـ القارة الحارة ـ القارة التى ليس لها حضارة مميزة ـ القارة التى يسكنها آكلو لحوم البشر والوثنيون والحيوانات الضارية فى الغابات الكثيفة التى لا تخترقها الحجب •

٢ ـ أوردت مجموعة أخرى من الطلبة الآراء الآتية :

ترى طالبة واحدة أنه ليس هناك مبرر يستدعى الاهتمام بأفريقيا ، وأنها تدرس هذا المقرر عن تاريخ أفريقيا لانها ستشتغل مدرسة بعد التخرج •

قال أحد الطلبة أن الزنجى الامريكى ماض فى نسيان ماضيه الافريقى •

سمع طالب آخر كثيرا من الزنوج الامريكيين يقولون « ليست أمريكا وطننا ، ولكن وطننا أفريقيا، اننا نريد الذهاب الى قومنا» •

٣ ـ لوحظ أن الزنوج الذين يتناسون ماضيهم الافريقي يفتخرون بلونهم الفاتح ، وأما الذين يتمسكون بماضيهم الافريقي فانهم يفتخرون بجلدهم الاسود ٠

لاحظ بعض الطلبة أن الافريقيين يعتبرون أنفسهم أفضل من الزنوج الامريكيين ، بينما يلاحظ البعض الآخر العكس أي أن الزنوج الامريكيين أفضل من الزنوج الافريقيين ٠

ويعتبر هذا الاحصاء بالطبع صغيرا جدا لا ستطلاع وجهة النظر عن أفريقيا حتى بالنسبة لطلبة هارفارد ٠ ولكنني أشك في أن كثيرا من الزنوج الامريكيين يتفقون في قليل أو كثير مع هذه الآراء ٠

وهناك وجهة نظر وحيدة ، وجدت أنه يصعب جدا على الطالب الامريكي الزنجي فهمها ، وهي أن الولايات المتحدة الامريكية تطوق برباط محكم وذلك بمساندتها للقوى الاستعمارية ، وتقويتها لدول حلف الاطلنطي ، واغضابها للوطنيين الافريقيين ٠ ان أمريكا بوقوفها ضد الاستعمار تجد نفسها عرضة للمديح والثناء من الوطنيين وللغضب والصراخ من القوى الاستعمارية ودول حلف الاطلنطي ٠ واذا ما حدثت حرب مع روسيا ستجد أمريكا في حاجة الى دول حلف الاطلنطي وأفريقيا في آن واحد ٠

وحيث أن الزنوج الامريكيين سيكونون عرضة للموت ضمن غيرهم بفعل الاسلحة الذرية ، لذلك فاني آمل أن يقتنع القراء الكثيرون لهذا المقال أن تلك القارة التي كانت تدعى بالقارة السوداء في الماضي هي اليوم قارة المستقبل التي يجب أن يوضع حنينها الى الحرية في كفة وعلاقتها بحضارة الاطلنطي في كفة أخرى ٠

٧

اهتمام جمعية نهضة الزنوج الوطنية بأفريقيا

National Association for The Advancement of Coloured People

بقلم : James W. Ivy

التعريف بالكاتب

- خريج جامعة اتحاد فرجينيا .
- محرر مجلة The Crisis منذ عام ١٩٤٦ .
- المحرر الادبي لمجلة Messenger Magazine .
- محرر التعريف بالكتب في مجلة The Crisis .
- مدير التحرير في مجلة Common Sense .
- قبل الاشتغال بمجلة The Crisis ، عين كمعيد للغة الانجليزية في معهد هامبتون Hampton
- يشغل حاليا وظيفة أمين الصندوق للجمعية الامريكية للحضارة الافريقية .

* * *

عند تقديم هذا العرض لاهتمام جمعية نهضة الزنوج الوطنية (NAACP) بالشئون الافريقية ، كما يتجلى ذلك على صفحات مجلة The Crisis الناطق الرسمي باسم الجمعية ، نرى أنه من المفيد تلخيص رأيين متعارضين للزنوج الامريكيين فيما يتعلق بأفريقيا والافريقيين .

الرأى الاول :

ينادى هذا الرأى بأن أفريقيا هى الوطن الاصلي للزنوج ، لذلك يجب عليهم العودة اليها . وقد بدأ ظهور هذا الرأى خلال القرن الثامن عشر ، ففى

ذلك الوقت ظهرت جمـاعات كثيرة من الزنوج فى أمريكا تطالب بضرورة العودة الى أفريقيا ، وذلك بسبب موقفهم الشاذ فى المجتمع الامريكى الذى يصر على استعباد الزنوج • وقد عبر عن ذلك Dr. Du Bois بقوله :

« كان من السهل على المرء أن يلمس بوضوح مدى حنين الزنوج للعودة الى أمهم أفريقيا فى أواخر القرن الثامن عشر ، عندما قام اتحاد الزنوج فى نيوبورت Newport ، واتحاد الزنوج فى روداىلاند Rhoda Islanland فى سنة ١٧٨٨ بتقـديم اقتراح الى جمعية الزنوج الاحرار فى فيلادىليفيا Philadelphia يقضى بالرحيل الجماعى للزنوج الاحرار الى أفريقيا » •

« ولقد تجددت الحركة بعد ذلك ولكن على نطاق أوسع ، فلم يقتصر شعار العودة الى أفريقيا على الزنوج الاحرار فقط ، بل تعـداه الى جميع الزنوج الذين ينشدون العدل والمساواة والاعتراف بهم كبشر ، والذين بدءوا يفتقدون هذه المعانى فى مجتمع ليس عنده أدنى رغبة فى معاملة الزنوج كاخوان لهم فى الانسانية » •

الرأى الثانى :

ويعارض الرأى الاول فى الهجرة الى أفريقيا ، على أساس أن جميع المنادين بالهجرة انما كانوا غير جادين فى مطلبهم ، وبذلك كانوا يغررون بالسواد الاعظم من الزنوج الامريكيين • وقد عارضت جمعية نهضة الزنوج الوطنية ومجلتها The Crisis هذا الرأى الاول ، ونبهت الاذهان الى أن الهجرة الى أفريقيا انما هى مكيدة لكى تتخلص الدولة من الزنوج الاحرار ، أو خدعة لتثبيط همـة الزنوج الامريكيين فى مطالبهم وكفـاحهم المشروع من أجـل الحصول على حقوقهم المشروعة • وقد كان الزنجى الذكى يرفض فكرة العودة الى أفريقيا ، لانه بذلك انما يسـلم بوجهة نظر الرجل الابيض التى تنادى بالعنصر المنحط للزنوج • ولأن الرجل الابيض كان يشيع دائما أن أفريقيا قارة همجية ليس بها سوى الغابات الكثيفة والحيوانات المتوحشة، ولا يسكنها سوى الاقزام والوثنيون وسحرة الطب • وقد تجاهل الرجـل الابيض كل شىء عن حضارة أفريقيا وامبراطوريتها القديمة مثل : مالى Mali ـ ماسينا Massina — سـنغوى Songhoi • والتى لم يحـاول حتى ذكر أسماءها • ويعرف الزنجى الامريكى عن جورج واشنطن وابراهام لنكولن كل شىء ، ولكنه لا يعرف شيئا عن شاكا Shaka أو محمد أبو بكر التورتى Mohammed Abu-Bekr El-Tourti والدليل على ذلك أن Dr. Du Bois على الرغم من غزارة معلوماته وعمق دراساته عن أفريقيا والزنوج ، على الرغم

من كل ذلك نجـده يعترف بانه لا يعرف الا القليل عنهـا • فاذا كان الامر كذلك بالنسبة لشخص مثل Du Bois فماذا يكون الامر بالنسبة لمعلومات الزنجي الامريكي العادى •

من أجل ذلك تكونت جمعية نهضة الزنوج الوطنية (NAACP) •
National Association For The Advancement of Colourd People
في سنة ١٩٠٩ وانشاء مجلتها الناطقة باسمها The Crisis سنة ١٩١٠ • وقد بدأت الجمعية نشاطها بالوقوف أمام الدعاية المضادة للزنوج فى أمريكا، والكفاح من أجل مساواة الزنوج بالبيض فى الحياة الامريكية • وقد كانت أهداف الجمعية تنصب على ترقيـة الزنوج رجالا ونساء فى أمريكا ، وذلك بتأكيد حقوقهم فى العـدالة والاقتصاد والسـياسة والاجتمـاع كمواطنين أمريكيين• لذلك لم توجه الجمعية فى بدايتها اهتماما كبيرا بالمشاكل الافريقية• وفى نفس الوقت كانت مجلة الجمعيـة The Crisis تفرد جـزءا كبيرا من صفحاتها لافريقيا والافريقيين •

وفى ٣ يناير سـنة ١٩١٦ بدأت الجمعيـة تولى اهتمامها تجـاه الشئون الافريقية ، فقام Dr. Du Bois بدراساته المستفيضة عن أفريقيا ونوقشت أبحاثه في الجمعية NAACP • وقد اقترح Dr. Du Bois عمل انسيكلوبيديا أفريقية لكى تنشر فى عام ١٩١٩ وذلك بمناسبة مرور ثلاثة قرون على نزول الزنوج فى بلدة جيمزتون Jamestown • وبعـد ذلك بسنتين فى ١١ مارس عام ١٩١٨ اقترح Dr. Du Bois أن تصبح الجمعية عضـوا مؤسسا يمثل أفريقيا فى عصبة القوميات الصغيرة (LSSN) •

The League of Small and Subject Nationalities

وبعد ذلك بسبعة شهور فى ٩ سبتمبر سنة ١٩١٨ طلب Dr. Du Bois من الجمعية أن تتخذ الخطوات السريعة لدى مؤتمر السلام فى فرساى للحصول على اعترافه بحقوق أفريقيا والافريقيين •

وبعد ذلك بشهرين تقدم Dr. Du Bois بمذكرة عن المستعمرات الافريقية وأحوالهـا الى مؤتمر السـلام • وفى أول ديسـمبر سـنة ١٩١٨ سافر Dr. Du Bois الى فرنسا كممثل لجمعية NAACP وجريدة The Crisis • وفى الفترة بين ٢١،١٩ فبراير سنة ١٩١٩ نظمت الجمعية مؤتمرا عن أفريقيا للجميع فى لوكاندة جراند هوتيل فى باريس • وفى هـذا المؤتمر أصرت جمعية NAACP على مطلبها الاساسى وهو تدويل أفريقيا وحصول المستعمرات الالمانية فى أفريقيا على الحكم الذاتى الجزئى •

وفى ١٤ ابريل سنة ١٩١٩ تقدم Dr. DuBois الى مجلس الجمعية بمذكرة ايضاحية عن المستعمرات الافريقية •

وفى ١١ أكتوبر سنة ١٩٢٠ أعلن عن عقد مؤتمر أفريقيا فى باريس سنة ١٩٢١ • وفى ٨ نوفمبر وافق مجلس الجمعية على تخصيص مبلغ ٣٠٠٠جنيه لتمويل المؤتمر • وفي ٦ أغسطس سنة ١٩٢١ أبحر كل من Dr. Du Bois وولتر هوايت Walter White الى أوروبا لحضور المؤتمر • وبعد ذلك بخمسة أعوام وافق مجلس الجمعية NAACP على جهود لجنتى السلام والعلاقات الخارجية لعقد المؤتمر الرابع لافريقيا في مدينة نيويورك فى الفترة بين ٢١ ، ٢٤ أغسطس سنة ١٩٢٧ •

وفى ٦ يناير سنة ١٩١٩ عقدت الجمعية مؤتمرا كبيرا عن أفريقيا فى صالة كارنيجي Carnegie Hall فى مدينة نيويورك • وفى هذه الجلسة أرسل المؤتمر بالبرقية الآتية الى الرئيس ولسون :

« تحيى جمعية الزنوج الوطنية NAACP رئيس الولايات المتحدة الامريكية وتقف بجواره مخلصة ازاء جهوده نحو تأسيس عصبة الامم ، التى ستعمل على النهضة بشعوب وسط أفريقيا وحمايتهم » •

كما تقدم المؤتمر الى البرلمان الامريكى بالقرار التالى :

« ان الجمع الحاشد لجمعية NAACP المجتمع فى مساء ٦ يناير سنة ١٩١٩ فى كارينجي هول لمناقشة أفريقيا والديمقراطية الدولية ، يناشد البرلمان أن يسعى الى تكوين عصبة الامم فورا ، لتحمل ضمن رسالتها حماية المواطنين فى وسط أفريقيا والاهتمام بهم » •

وقد قامت مجلة The Crisis بجهود كبيرة لتغطية جميع المؤتمرات الافريقية المنوه عنها سابقا وأفردت لها الصفحات الطوال وخاصة المؤتمر الذى عقد فى الفترة بين ١٩ ، ٢١ فبراير سنة ١٩١٩ • وبالاضافة الى ذلك نشرت الكلمات التى ألقيت أمام اللجان المختلفة للمؤتمر ، كما نشرت المجلة قرارات المؤتمر بالتفصيل • وفيما يلى ملخصا للقرارات التي قدمت الى لجنة السلام :

أولا :

يطالب زنوج العالم المجتمعون فى المؤتمر بالعدالة والمساواة وتثبيت دعائم

الحضارة التى من شأنها الاسراع فى تقدم ٢٠٠ مليون زنجى ، ولذلك تتقدم بالمقترحات الآتية :

١ ــ من أجل الحماية الدولية للمواطنين الافريقيين ، يجب على الحلفاء سن قوانين مماثلة لتلك القوانين العالمية المقترحة لحماية العمال .

٢ ــ يجب على عصبة الامم أن تكون مكتبا دائما لكى يرعى تطبيق هذه القوانين التى تعمل على صالح الوطنيين الافريقيين من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ثانيا :

١ ــ **الملكية :** يجب أن يمكن الاهالى من تمليك الارض ومواردها فى جميع الاوقات بالقدر الذى يسمح لهم بالاستغلال المربح .

٢ ــ **رأس المال :** يجب تنظيم رأس المال بطريقة تمنع سوء استغلال الوطنيين ، وتحول دون استنزاف الثروات الطبيعية للبلاد . كما يجب أن تشرف الدولة على تراخيص العمل وأجور العمال ، وأن تهتم بالاحتياجات الاجتماعية المتزايدة للمواطنين ، وأن تصرف حصيلة الضرائب فى مصلحة الشعب .

٣ ــ **العمل :** يجب الغاء عبودية العمل ، والتشغيل الاجبارى ، والعقاب الجسمانى الا فى حالة الجريمة . كما يجب اشتراك الدولة والاشراف على كل ما يتعلق بالعمل والعمال .

٤ ، ٥ ــ تتعلق هذه القرارات بالتعليم والطب والشئون الصحية على التوالى .

٦ ــ **الحكومة :** يجب السماح للمواطنين الافريقيين بالاشتراك فى الحكومة بقدر ما تسمح به ظروفهم ، مع التأكد من أن الحكومة مخلوقة من أجل الشعب ، وليس الشعب من أجل الحكومة .

يجب أن يكون للشعب ممثلين لدى الحكومة بالحد الذى يسمح به تطورهم ، على أن يبدأ فورا بالحكومات المحلية والقبلية طبقا للنظام القديم ، وأن يمتد هذا التمثيل تدريجيا مع تقدم الثقافة والخبرة حتى ينتهى الامر مع الوقت بأن تحكم أفريقيا بالافريقيين

٧ ــ **الحضارة والعقيدة :** يجب أن تترك حرية الحضارة والديانة للشعب ، وألا يفرض عليه حضارة أو عقيدة معينة ، لان نهضة الشعوب تبثق من بيئتهم وظروفهم المحيطة بهم ولا تستورد من الخارج . ويجب

اتاحة الفرصة أمام الذكاء العنصري والوراثة الاجتماعية والشخصية المستقلة لـكى تنمو وتظهـر ما دام ذلك لا يتعـارض مع القواعد الاساسية للحضارة العالمية ٠

٨ ـ **الزنوج المتمدينون :** الافريقيون قادرون على مسايرة المدنية الحديثة وعلى تخطى عقباتها ، لذلك يجب أن ينالوا تلك الحقوق التى يتمتع بهـا بنو البشر ، ويجب ألا يحرموا من ذلك بسبب العنصرية أو اللون ٠

٩ ـ يتعلق هـذا القرار بعصبة الامم وقـد نشر بالتفصيل فى مجـلة The Crisis وفيما يلى مقتطفات منه :

ان المساواة المطلقة للعناصر الانسانية بكافة أنواعها ، هى حجر الاساس بالنسبة للسـلام العـالمى والحضارة الانسـانية ٠ ولا يمكن لاحد أن ينكر الاختلافات الفردية فى الموهبة والخبرة ولـكن الجميع يتفق فى انكار وجود ما يسمى بالعناصر السائدة والعناصر المسودة فى البشرية ٠ وعلى العالم أن يعمل بكل ما أوتى من جهد على تقدم الشعوب المتخلفة ، فان تقدم الشعوب لا تضر بأحد وانما هى المثل الحى على الحضارة الانسانية ٠

واذا كان الرجل الابيض يعتقد فى التفرقة المطلقة على أساس الجماعة أو اللون أو الحضارة كأساس لنهضة العالم ، فعليه أن يرحل عن القارة السوداء ، وعند ذلك ستكون العناصر السوداء سعيدة برحيل البيض وتركهم لحالهم ٠

ان هذا العالم هو ملك للانسانية جمعاء ، يتعاون فيه الجميع من أجـل سعادة الجميع ٠ وصانعوا السلام حقيقة هم الذين يسعون لهذه الغاية ٠

ان الديمقراطية الحقة لا تحتاج الى الادارة والاشراف ، بقدر حاجتها الى الضمير الحى ، وانكار الذات فى سبيل المجموع ٠

وقد كتب Jessie Fauset المحرر الادبى لمجلة The Crisis مقالين ابان عقد المؤتمر الثانى لافريقيا جاء فيما :

لقد استولت هذه الجمعية على شعور العالم ٠ وقد كان باستطاعتنا الحصول على الشهرة لو أردنا ذلك ، ولكننا لسنا فى حاجة اليها ٠ ان صحافة العالم أجمع تقف بجانبنا ٠ لقد أصيب العالم الابيض بحمى محاولة معرفة الكثير عن أفكارنا وآمالنا وأحلامنا ٠ ان التنظيم هو أقوى أسلحتنا ، ومن أهم الحقائق التى وضحت أمامنا ، هى ذلك العمل الشاق الذى بات ينتظرنا ٠

وفى مقال آخر لمس فاوست Miss Fauset بعنوان « ما تظن أوروبا فى مؤتمر أفريقيا » خرجت بالخلاصة الآتية : « ان الشهرة الكبيرة التى حصلنا عليها فى العالم والتى تجلت واضحة على صفحات الجرائد العالمية ، لتعطينا الدليل الكافى على أن هذا المؤتمر كان له عظيم الاثر على أوروبا فى نواحى كثيرة » .

وقد نشرت مجلة The Crisis ملخصا للمؤتمرات الافريقية الاربعة (١٩١٩ - ١٩٢١ - ١٩٢٢ - ١٩٢٧) كما نشرت القرارات التى أصدرها المؤتمر الافريقى الرابع فى مدينة نيويورك (٢١ أغسطس سنة ١٩٢٧) وفيما يلى مقتطفات عما دار فى هذا المؤتمر عن أفريقيا :

أفريقيا :

ان شعور القوى الاستعمارية تجاه أفريقيا خاطىء من أساسه ، فانها تسعى وراء مجرد الربح والاستغلال ، وليس وراء الرجال . انهم وراء التجارة والصناعة لا التقدم الروحى أو الحضارة . ان مثل هذه الروح انما هى شؤم لا على أفريقيا فحسب بل على الحضارة الحديثة ويجب ازالتها وستزول حتما .

أفريقيا البريطانية :

نحن نهنىء بريطانيا على منحها فرص سياسية أكثر لمستعمراتها الاربعة فى غرب أفريقيا البريطانية ، ونطمع فى امتداد هذه السياسة حتى يسيطر الافريقيون على مجالسهم التشريعية . نحن نطالب بعودة الارض للافريقيين، وبمنحهم تمثيلا أكثر فى الحكومة وخاصة فى كينيا وشمال وجنوب روديسيا .

نحن قلقون من محاولة الاقلية البيضاء فى اتحاد جنوب أفريقيا الاستيلاء على أرض السود وحرمانهم من فرص العمل المربحة ، واستمرار سلبهم لحقوقهم السياسية ، وتحويلهم الى مجرد عبيد ضعاف . ان برنامج حكومة هيرزوج Herzog هو أكبر تحد صارخ للعلاقات العنصرية فى الوقت الحاضر . انه من المؤسف أن نرى ذلك المجهود الضئيل التى تبذله بريطانيا فى جميع أجزاء أفريقيا البريطانية نحو تعليم الوطنيين وذلك على الرغم من انشاء كلية آشيموت Achemota College

أفريقيا الفرنسية :

اننا ننظر بعين الاعجاب الى برامج التعليم الوطنى ، وامتداد الحقوق السياسية لعدد كبير من الوطنيين فى أفريقيا الفرنسية ، ونطمع بتقدم أكثر لحماية الوطنيين من الاستغلال الصناعى والتجارى الذى يمارسه الفرنسيون فى هذه المستعمرة الكبيرة •

الكونغو البلجيكية :

نحن ما زلنا ننتظر الدليل الحقيقى لكى تتحرك بلجيكا من جانبها لكى ترد للوطنيين أراضيهم ، ولاشراكهم فى الحكومة ، والحيلولة دون جعل الكونغو البلجيكية مجرد حقل استغلال مربح للصناعة الاوروبية • وعدم بذل أى مجهود جدى فى سبيل تقدم الوطنيين والاحتفاظ بثرواتهم الطبيعية لهم •

ويسرنا أن نرى النهضة التعليمية فى ازدياد ، ولكنها ما زالت دون المستوى المطلوب •

البرتغال :

نحن نطالب البرتغال بأن تكف عن استغلالها المالى والصناعى الذى يقودها ومستعمراتها الى الافلاس • وننظر بعين القلق الى جعل هذه المستعمرات أسواقا للعبيد •

بعثات التبشير :

نحن نعتقد فى جهود البعثات التبشيرية ، ولكن بغرض رفع المستوى الصحى والاخلاقى والثقافى للوطنيين ، لا بغرض اثارة الحزازات الطائفية والخرافات القبلية •

* * *

وقد حملت مجلة The Crisis فى الفترة بين ١٩١٨ ــ ١٩٢٧ لواء المناداة بحرية أفريقيا واستغلالها فى مقالات رنانة بعنوان «أفريقيا للجميع» • وفيما يلى ملخص لمقاله بعنوان « مستقبل أفريقيا » نشرت فى عدد يناير سنة ١٩١٨ :

يجب أن تكون نتيجة هذه الحرب استقلال وسط أفريقيا الزنجية التى تشمل الكونغو البلجيكية وشرق أفريقيا الالمانية وأوغندا الالمانية وأوغندا وأفريقيا الباريسية وجنوب غرب أفريقيا الالمانية والمستعمرات البرتغالية فى انجولا وموزامبيق • مثل هـذه المنطقة يجب أن توضع تحت الوصـاية الدولية •

وفى جزء آخر من مقال « أفريقيا للافريقيين » :

يجب أن تحكم أفريقيا للافريقيين وبالافريقيين • ولست أعنى بذلك أن أن يحكم أفريقيا هؤلاء الزنوج فى الهند الغربية أو أمريكا ، لان حق هؤلاء فى حكم أفريقيا ليس أكثر من حق الافريقيين الوطنيين فى حكم أمريكا •

وتتجلى فى المقالة التالية بوضوح وجهة نظر كل من جمعية NAACP ومجلة The Crisis نحو مستقبل المستعمرات الافريقية :

اعادة بناء أفريقيا :

قدم اقتراح يقضى بضرورة تسليم المستعمرات التى فقدتها المانيا الى أى دولة أوروبية أخرى تحت اشراف حضارى ينتهى بالحكم الذاتى • وقد قوبل هذا الاقتراح بالنقد المرير والسخرية الشديدة • وكان من بين الصرخات التى ارتفعت متهجمة ضد هذا الاقتراح ما معناه « كيف ندع الافريقيين ينحدرون أو ينتكسون الى ماضيهم المنحط ؟ » •

ونحن نسأل هل تنتكس الحضارة لمجرد أنها متخلفة عن غيرها ؟ انه ليس فى الحضارة الافريقية من رذيلة أو انحلال تسبب كل هذا الازعاج للسادة البيض • ان أفريقيا لم تجن من أوروبا سوى الادمان على الخمـر ، والامراض المخيفة ، والانحلال والفساد • ولسنا فى حاجة الى التذكير بالوحشية الالمانية فى أفريقيا فالعـالم كله يذكرها جيدا • وحتى انجلترا وفرنسـا لا يمكن اعفاءها من اللوم بسبب أعمالهـا فى أفريقيا • وحتى لوفرضـنا أن هؤلاء السادة لهم مثلهم ومبادئهم العليا ، فمن ذالذى يجرؤ على القول بأنه يجب فرض حضارة معينة على شعب من الشـعوب مهما بلغت هذه الحضـارة من الرقى • ان لكل شعب حضارته وطباعه المنبثقة من بيئته وظروفه المحيطة التى يتمسك بها ويصر على السير فيها ، لانه لا يمكن أن يحس بالحرية اذا فرضت عليه حضارة أخرى دون رضى أو قبول • ان هؤلاء السادة البيض يتشدقون فقط بالكلمات الرنانة ، وأسوأ ما فى الامر أنهم يعلنون دائما أن

انسحابهم من أفريقيا يؤدى بها الى الفوضى والانحطاط • ماذا تريد أوروبا ؟ أو بمعنى أدق ماذا تريد هذه الحفنة القليلة من الاوروبيين من أفريقيا ؟ انهم لا يريدون نشر الحضارة الاوروبية فى أفريقيا ، ولكن مجرد الاستغلال واستنزاف ثروة البلاد •

وقد وضح اهتمام جمعية NAACP بأفريقيا فى المؤتمر الذى عقد فى مانشستر (انجلترا) فى الفترة بين ١٣ ــ ٢١ آكتوبر سنة ١٩٤٥ • فقد انصبت القرارات التى اتخذت فى هذا المؤتمر على التنديد بالموقف السىء للعنصرية فى اتحاد جنوب أفريقيا • وفيما يلى النص الحرفى للقرار الذى صدر فى المؤتمر الثالث والاربعين السنوى لجمعية NAACP الذى عقد فى أوكلاهوما ستيى فى الفترة بين ٢٤ ــ ١٩ يونيو سنة ١٩٥٢ :

جنوب أفريقيا :

ان قانون مالان Malan بشأن التفرقة العنصرية يشكل خطرا على السلام العالمى يساوى ان لم يكن أكثر من خطر النازية • لذلك فاننا نطالب الحكومة ببذل جهودهاا للقضاء على هذا القانون البربرى الذى يقضى بسيادة الرجل الابيض •

نحن نحث حكومة الولايات المتحدة والبنك الدولى وبنك الاستيراد والتصدير وجميع البنوك الخاصة على رفض اعطاء قروض أو ضمانات مالية لاتحاد جنوب أفريقيا ما دامت سادرة فى غيها •

يجب على الامم المتحدة أن تتخذ موقفا أكثر صلابة ضد الاعمال الوحشية التى يمارسها اتحاد جنوب أفريقيا فى جنوب أفريقيا وأن تعارض بنفس الصلابة تهديدات اتحادات جنوب أفريقيا ضد بوستلاند Basutoland ، سوازيلاند Swaziland وغيرها من البلاد المرتبطة باتحاد جنوب أفريقيا •

* * *

بينما كانت جمعية NAACP تهتم مبدئيا بالمؤتمرات الافريقية الاربعة التى عقدت فى الفترة بين عام ١٩١٩ ــ ١٩٢٧ ، نجد أن المجلة الرسمية للجمعية The Crists تقوم بمهمة اطلاع القراء على حقائق كثيرة عن أفريقيا (جغرافيتها ــ ديانتها ــ فنها ــ أدبها ــ الحياة القبلية ــ العمل والعمال) •

كما ألبت الوعي الوطني ضد الاستغلال الاستعماري ، كما لفتت أنظار القراء الى البؤس والفاقة التى يعانيها الوطنيون تحت عبء الرجل الابيض • هذا ما قامت به المجلة وما زالت تؤدى هذه الرسالة • عن طريق المقالات ونشر صور الشخصيات الافريقية ، وكشف مخازى الحياة الاستعمارية •

وقد علق على نشاط المجلة الكاتب الفرنسى الكبير Frank L. Scoell منذ ٢٥ سنة مضت بقوله « ان من يقرأ مجلة The Crisis لا بد وأن يتعرف على مدى الاهتمام الكبير الذى تلاقيه أفريقيا فى السنوات الاخيرة »• «وليس من شك فى أن الزنجى الامريكى يعرف حاليا عن جغرافية وتاريخ أفريقيا أكثر بكثير من ذلك الذى يعرفه عنها الرجل الابيض المتوسط الثقافة » •

ومن عناوين الاخبار التـالية التى نشرت فى مجلة The Crisis فى نوفمبر سنة ١٩٢٠ تحت عنوان « أخبار الكنيسة من أفريقيا » •

١ ـ تليت اليوم قرارات كنيسة كانيبال المركزية ضد الحرب المسيحية الوحشية التى تجرى حاليا فى أوروبا •

٢ ـ أرسلت جمعية السيدات للكنيسة الاغذية الى زوجات وأطفال الرجال الذين أرسل أزواجهن الى الحرب •

٣ ـ ناشدت جمعية شبان باجان Pagan الشباب أن يقاوموا االتعليمات المسيحية الخداعة ، وأن يجندوا أنفسهم من أجل السلام •

وفى الفترة بين سنة ١٩١١ ، سنة ١٩٤٥ نشرت مجلة The Crisis عن أفريقيا والافريقيين أكثر مما نشرته المجلات العامة مجتمعة • وفيما يلى عينات من الاخبار التى نشرتها فى تلك الفترة :

١ ـ أضرب العمال البيض فى جوها نسبرج (جنوب فريقيا) وكنتيجة لذلك حصلوا على مطالبهم • هذا بينما أضرب ١٥٢ من الوطنيين فحكم عليهم بالسجن شهرين مع الشغل • وقد أثارت هذه التفرقة الجماهير ونتج عن ذلك ايقاف تنفيذ الحكم •

٢ ـ ثار العمال الزنوج فى جوهانسبج بسبب التمييز العنصرى مطالبين بتسوية عمال المناجم البيض والسود •

٣ ـ ثار ٣٥ من النساء الزنجيات فى جنوب أفريقيا وحكم عليهن نتيجة لذلك بالسجن شهرين مع الشـغل • وعلى الرغم من هـذا الحكم القاسى فقد أصر النساء على مطالبهن فى عدم معاملتهن كالمواشى •

٤ ـ ثار الوطنيون الزنوج فى جنوب أفريقيا ضد قانون الملكية الذى يحرم الزنوج من تملك الاراضى خارج المناطق التى حددت لهم .

٥ ـ عقدت مؤتمرات عن «مستقبل المستعمرات الافريقية» وعن «الاشراف الدولى» فى لندن نظمها جماعة محاربة العبودية، وجماعة المحافظة على حقوق الوطنيين» . وقد كان من بين المتكلمين فى المؤتمر :

Sir T. V. F. Buxion, Sir Harry Johnston, Lord Sheffield

٦ ـ تحتوى المستعمرات الالمانية فى أفريقيا على نحو ١٨٥ ألف من العبيد .

٧ ـ شنق ملك الكاميرون بواسطة الالمان بتهمة الخيانة عند اندلاع نار الحرب . وقد أثار هذا الحادث الجماهير طوال الليل .

٨ ـ تنظر اللجنة القضائية فى انجلترا أكبر مشكلة للتمليك فى تاريخ بريطانيا . فعليها أن تحدد مصير ملكية ٧٣ مليون فدان ، هل تؤول الى شركة الامتياز التى تحكم روديسيا ، أم الى المستوطنين البيض ، أم الى ٨٠٠ ألف وطنى .

ولكى نوضح الدور الكبير الذى قامت به مجلة The Crisis ، علينا أن ننبه الى أن المجلات الاخرى كانت لا تكتب عن أفريقيا الا ما يهم الزوار والسواح كما أنها كانت تروج لدعايات الدول الاستعمارية .

أما مجلة The Crisis ، فقد حصرت همها فى الاهتمام بالتمييز العنصرى والقوانين المجحفة والتشغيل الاجبارى للعمال الزنوج والضرائب الظالمة . وتبنى مطالب وآمانى الزنوج .

كما أن المجلة قامت بتعريف القراء بالكتب المهمة التى ظهرت عن أفريقيا مثل :

تاريخ حياة نكروما .

ثروة ساحل الذهب .

البؤس فى جنوب أفريقيا .

شعب كينيا يتكلم عن نفسه .

والآن وكنتيجة لهذه الجهود الكبيرة لجمعية نهضة الزنوج الوطنية ومجلتها The Crisis لا يمكن لاحد من الزنوج الامريكيين فى الجيل الحاضر أن يتعلل بعدم معرفته واطلاعه بشئون أفريقيا والافريقيين ٠

ونحن انما نأمل أن يزداد اهتمام الزنوج الامريكيين بأفريقيا والافريقيين على توالى السنين ٠

٨

العلاقات التجارية والمالية بين أمريكا وأفريقيا

بقلم : لورنس هوارد Lawrence Howard

التعريف بالكاتب

- خريج جامعة دريك Drake ·
- دكتوراه من جامعة هارفارد ·
- اشتغل بالتدريس فى كلية هوفسترا Hofstra ·
- نشر أربعة مقالات عن مهنة الصحافة ·
- يشغل حاليا وظيفة أستاذ مساعد فى العلوم السياسية فى جامعة برانديز Brandeis ·

* * *

لماذا أصبحت أفريقيا مهمة فى الوقت الحاضر ؟

لا يخفى على أحد اليوم أن أفريقيا تملك من المصادر الاقتصادية الكبيرة (الثروة المعدنية ـ المساقط المائية ـ القوة البشرية) ما يضعها فى مكان الصدارة فى العالم ، ويساعد على ذلك تقدم وسائل المواصلات فى العصر الحديث · هذا بالاضافة الى موقعها الاستراتيجى الهام الذى يجعلها مجالا للحرب الباردة ·

ما تأثير ذلك على الافريقيين ؟

من البديهات الاقتصادية ، أنه اذا انصبت رءوس الاموال الاجنبية فى منطقة ما ، فان ذلك يكون له أثره على انعاش الوطنيين فى تلك المنطقة · ولكن نرى عكس ذلك فى أفريقيا ، فانه من المؤسف أن الوطنيين الافريقيين يعيشون فى فقر مدقع ·

وعندئذ يتساءل المرء كيف يمكن للوطنيين أن يستفيدوا من رءوس الاموال الاجنبية ؟

هل يتأتى ذلك من مجرد تأدية بعض الخدمات الاجتماعية عن طريق الشركات المستغلة ؟

أم لا بد من الاسهام في حل المشاكل الاقتصادية الهامة في البلد ؟

ونحن في هذا المقال نناقش كيف يمكن للوطنيين الاستفادة من رءوس الاموال الاجنبية :

لقد نما الاقتصاد الامريكي بسرعة في أفريقيا منذ عام ١٩٥١ • ويعزى ذلك الى محاولة ايقاف تسرب الشيوعية، وتقوية الحكومات الوطنية، والارتفاع بمكانة أمريكا عند الافريقيين • ومع ذلك فان هذه الاهداف لم تتحقق تماما، فالتأثير الشيوعي في ازدياد مضطرد ، والافريقيون الوطنيون يشعرون بخيبة أمل نحو السياسة الامريكية • وعلى ذلك فانه على الرغم من أن أمريكا تبدو مسرعة في خطواتها في أفريقيا الا أنها تدور في حلقة مفرغة •

قامت أمريكا باجراء دراسات اقتصادية شاملة للبلاد المتخلفة في أفريقيا، هذا علاوة على الزيارات المتكررة التي قام بها أعضاء الكونجرس الامريكي ونيكسون نائب الرئيس في أنحاء متفرقة من أفريقيا ، وتقدموا بتقارير مفصلة عن هذه الزيارات • وقد غطت هذه الدراسات والتقارير العلاقات الاقتصادية بين أمريكا وأفريقيا الفترة بين سنة ١٩٥٢ ، سنة ١٩٥٦ ،حيث نشرت في تقرير مفصل مكون من خمس مجلدات • ويشير هذا التقرير الى أن الولايات المتحدة الامريكية تستهلك حاليا من المواد الخام أكثر مما تنتج •

وقد ساعد كثيرا في تحضير هذا المقال ، المطبوعات الاقتصادية الامريكية، ونشرات مكتب الاقتصاد الدولي التي يصدرها المجلس الاقتصادي والسياسي للامم المتحدة • وعند مناقشة العلاقات التجارية بين أمريكا وأفريقيا ، فانه من المفيد في هذا الصدد تقسيم أفريقيا الى أربعة مناطق مميزة ، ويلي ذلك مناقشة التجارة واستغلال رءوس الاموال •

أولا : المناطق الافريقية الاربعة :

تشمل قارة أفريقيا ¼ مساحة العالم تقريبا • ويمكن تقسيمها الى أربعة مناطق مميزة وهي :

١ ــ أفريقيا الاسلامية •

٢ ــ أفريقيا السوداء •

٣ ــ أفريقيا ذات الاجناس المتعددة •

٤ ــ أفريقيا الواقعة تحت سيطرة الرجل الابيض •

أفريقيا الاسلامية :

تتلاقى هذه المنطقة عند وحدة تاريخية عقائدية ، وتحيط بها الرمال والبحار • وقد أطلق عليها قدماء اليونان الاسم « ليجيا » أما الجغرافيون العرب فيطلقون عليها « الجزيرة الغربية » • وقد قسم التجار الامريكيون القدماء تلك المنطقة فى القرن الثامن عشر الى قسمين رئيسيين :

(أ) المنطقة البربرية •

(ب) مصر •

وعلى الرغم من أن تلك المنطقة تفتقر الى الموانى الصالحة ، والى التقاليد البحرية ، الا أنها تأخذ سمات منطقة البحر الابيض المتوسط من ناحية التجارة • ومن موانيها التاريخية : بلدان النيجر العليا مثل تمبوكتو Tumbuktu وجاوز Gao • كما أن التجارة امتدت عبر نهر النيل حتى أفريقيا الاستوائية • ويوجد الاسلام بين مناطق هذه الكتلة ويطلق عليها العربية •

أفريقيا السوداء :

تشمل المنطقة الممتدة حول منحنى الاطلنطى فى المنطقة الاستوائية • وقد أطلقت الخرط البرتغالية القديمة (القرن الرابع عشر) على هذه المنطقةالاسم « ساحل غينيا » • وكان الذهب من أول الثروات التى بحث الاوروبيون عنها فى هذه المنطقة • أما الثروات التى تلت ذلك فكانت ما يسمى بالذهب الاسود أو العبيد • ولعهد قديب جدا كانت غينيا العليا تصدر النباتات الاستوائية ، أما غينيا السفلى فكانت تقوم بتصدير عددا من المعادن • وعلى الرغم من وقوع تلك المنطقة فريسة للاستعمار ، الا أن ساحل غينيا لم يكن مستقرا دائما للاوروبيين ، بسبب الامواج العالية التى تكون باستمرار الحواجز الرملية ، مما نتج عنه قلة الموانى الطبيعية فى المنطقة ، هذا علاوة على ارتفاع نسبة الرطوبة والحرارة ، حتى أنه أطلق على هذه المنطقة فى وقت

ما بمقبرة الرجل الابيض · وحتى فى الوقت الحاضر ، فانه على الرغم من الوسائل الصحية الحديثة ، وظهور الادوية المختلفة للمناطق الاستوائية ، الا أن أفريقيا السوداء ما زالت غير صالحة لاستقرار الرجل الابيض ·

أفريقيا ذات الاجناس المتعددة :

تمتد هذه المنطقة من هضاب الحبشة حتى خليج عدن جنوب نهر لمبوبو الشهير Limpopo · ويرجع اتصال أوروبا بتلك المنطقة الى فاسكوديجاما Vasco de Gama الرحالة الشهير ·

وقد بدأ اهتمام أمريكا بهذه المنطقة فى منتصف القرن التاسع عشر فى بحثها عن الحيتان وتجارتها مع زنجبار · وقد تقدم النشاط التجارى بطيئا فى تلك المنطقة بسبب قلة المعادن بها ·

ويسكن الصوماليون العرب والاثيوبيون الجزء الشمالى ، أما الهضاب المسطحة فى الوسط فيسكنها المستوطنون الاوروبيون· وجنوبا يوجد مصدر القوة البشرية من العمال الافريقيين ، الذين يغذون التوسع الصناعى فى اتحاد جنوب أفريقيا · وتجاه الساحل فى البحر تقع مجموعة من الجزر المبعثرة الصغيرة · وتتميز تلك المنطقة (شرق أفريقيا) بتعدد الاجناس فيها·

أفريقيا الواقعة تحت سيطرة الرجل الابيض :

وتشمل هذه المنطقة اتحاد جنوب أفريقيا ــ روديسيا الفيدرالية ــ نياسالاند · وتعتبر هذه المنطقة متقدمة نسبيا بالقياس الى بقية المناطق الاخرى ، حيث أن التصنيع بها يتقدم على غرار غرب أوروبا ·

وتمتد المنطقة الجنوبية للقارة شمالا حتى الوسط ، ويشبه طقسها لحد كبير طقس كارولينا · ويوجد بها أكثر من ٢ر٥ مليون أوروبى ، أى مايقرب من نصف تعداد البيض فى القارة بأكملها· وقد اجتاحت تلك المنطقة تيارات التفرقة العنصرية منذ عام ١٩٤٨ وذلك بسبب زيادة الوعى الوطنى عند الافريقيين ·

وقد حققت جنوب أفريقيا بمفردها درجة كبيرة من النجاح الصناعى · أما بقية المناطق (أفريقيا المسلمة ــ أفريقيا السوداء ــ أفريقيا ذات الاجناس المتعددة) فقد ظلت متخلفة للاسباب الآتية :

١ ــ ما زال الكثير من الاراضى عاطلا بدون استغلال ، على الرغم من صلاحيتها لذلك ٠

٢ ــ الاعتماد على المطر لحد كبير ، وعدم استغلال المصادر المائية ٠

٣ ــ يعتمد اقتصادها على محصول واحد أو محصولين على الاكثر ٠

٤ ــ تلك الهوة الواسعة التى تفصل بين الاوروبيين والامريكيين فى جانب ، وبين الافريقيين فى الجانب الآخر ٠ وقد زادت هذه الهوة اتساعا فى سنوات ما بعد الحرب ٠

ثانيا : التجارة بين أمريكا وأفريقيا :

بدأت تجارة أمريكا مع أفريقيا بمجرد أن أدارت نيوانجلاند وجهها الى الجهة المقابلة من المحيط ٠ ومع ذلك فان التجارة فى القرن الثامن عشر، كانت تتحكم فيها السياسةالاستعمارية البريطانية المتقلبة، وقراصنة البحار ، والحروب الثورية ٠ وقد بلغت تجارة أمريكا مع الموانى والجزر الافريقية المختلفةوساحل أفريقيا حتىعام ١٧٩٠ ماقيمته ١٣٩٩٨٤ دولارا٠ أى حوالى ½٪ من مجموع تجارة أمريكا فى ذلك الوقت ٠ وبعد ذلك بسبعين عاما ، قبيلالحرب الاهلية بلغتتجارة أمريكا مع أفريقيا ماقيمته (٦٨٦٨٣١٠ دولارا) ٠ ويدل ذلك على مدى الانتعاش التجارى فى ذلك الوقت ، حيث وصل عدد المندوبين التجاريين الامريكيين فى أفريقيا عام ١٨٦٢ الى ٢٥ مندوبا رسميا ٠

وفى النصف الاخير من القرن التاسع عشر حدث هبوط نسبى فىالتجارة الخارجية بين أمريكا وأفريقيا ، وذلك بسبب سيطرة الاستعمار الاوروبى على القارة الافريقية ، وماصحب ذلك من طرد التجار الامريكيين ، الامر الذى دعا دفع أمريكا الى الاشتراك فى مؤتمر برلين (١٨٨٤ ــ ١٨٨٥) لمحاولة الاحتفاظ بأسواق الكونغو مفتوحة أمام التجارة الامريكية ٠

وقبل الحرب العلية الثانية وصلت قيمة تجارة أمريكا مع أفريقيا الى أقل من ٢٥٠ مليون دولارا ٠

ويمكن القول أن الحرب العالمية الثانية كانت سببا فى اعادة اكتشاف أفريقيا من الناحية الاقتصادية ٠ فقد بلغ متوسط تجارة خمس سنوات (١٩٤١ ــ ١٩٤٥) ما قيمته ١٫٠٥٨٫٥٢٣٫٠٠٠ دولارا أى بزيادة قدرها

٤٠٠ ٪ • وقد هبطت صادرات أمريكا بعد الحرب الثانية عن وارداتها ، ففى أفريقيا كانت تستورد أفريقيا ما قيمته ٧ر٣ ٪ من كل بليون دولار ، فى الوقت الذى تصدر فيه ما قيمته ٦ر٥ ٪ • وفى الفترة بين ١٩٥٢ ــ ١٩٥٦ استوردت أفريقيا الىأمريكا بضائع قيمتها ٠٠٠ر١١٣ر٥٧٧ دولارا وصدرت بضائع قيمتها ٠٠٠ر٩٤٣ر٦٠٣ دولارا • من ذلك يتبين أن الميزان التجارى كان فى غير صالح أمريكا بالنسبة لافريقيا •

ويوضح الجدول رقم (١) الصورة الدولية للتجارة الخارجية الامريكية :

جدول (١)

الميزان التجارى الأمريكى على مستوى القارات

(متوسط ١٩٥٢ ــ ١٩٥٦)

أمريكا الجنوبية	(ـــ)	٥١١ر٨١١ر٠٠٠
أوروبا		١ر٤٠٧ر٩٦١ر٠٠٠
آسـيا		٤٠٥ر٦٣٣ر٠٠٠
أفريقيا	(ـــ)	٤٩ر٩٩٧ر٠٠٠
استراليا		٣٠ر٢٥٣ر٠٠٠

ملحوظة : تشيرالعلامة (ـــ) الى أن الميزانالتجارى فى غير صالح أمريكا•

ويستدل من الجدول (١) أن كلا من أمريكا الجنوبية وأفريقيا هما القارتان الوحيدتان ذات الاهمية فى اكتساب الدولارات • ومن ذلك تتضح الاهمية الكبيرة لافريقيا فى تجارتهـا مع أمريكا ، حيث أنها كانت من المناطق التى تنصب فيها الدولارات فى تلك الفترة •

ويوضح الجدول (٢) قيمـة الصدرات والواردات الامريكية مع المنـاطق الرئيسية فى أفريقيا :

جدول (٢)

تجارة أمريكا مع المناطق الأفريقية الرئيسية

١٩٥٢ ـ ١٩٥٦

المتوسطات مقدرة بآلاف الدولارات

المنطقة	صادرات أمريكا	واردات أمريكا	الميزان التجارى
أفريقيا الاسلامية	١٥٢ر٢٥٥	٥٥ر٨٣٥	٩٦ر٤٢٠
أفريقيا السوداء	١٤٧ر٤٠٧	٣١٤ر٤٧٧	(—) ١٦٧ر٠٧٠
أفريقيا ذات الاجناس المتعددة	٣١ر٤٠٨	٨٥ر٤٧٨	(—) ٥٤ر٠٧٠
أفريقيا تحت سيطرة البيض	٢٤٦ر٠٤٤	١٤٨ر١٥٣	٩٧ر٨٩١
	٥٧٧ر١١٤	٦٠٣ر٩٤٣	

ملحوظة :

١ ــ تشير العلامة (—) الى أن الميزان التجارى فى غير صالح أمريكا •
٢ ــ لا يشتمل الميزان التجارى مع أفريقيا البيضاء على حركة الذهب •

ويتضح من الجدول (٢) أن الميزان التجارى بين أمريكا وكلا من أفريقيا المسلمة وأفريقا البيضاء كان فى غير صالح الاخيرتين ، وفى حين أنه كان فى صالح كلا من أفريقيا السوداء وأفريقيا ذات الاجناس المتعددة أى أن المنطقتين الاخيرتين كانت من مصادر اكتساب الدولارات •

وعند النظر الى أفريقيا كوحدات سياسية نجد أن الدولارات كانت تنصب فى الوحدات الآتية :

الكاميرون ــ غرب أفريقيا الفرنسية ــ غانا ــ نيجيريا ــ الكونغو البلجيكى (غربا) كينيا ــ أوغندا ــ تنجانيقا ــ مدغشقر (شرقا) •

وبمعنى آخر يتضح أن المستعمرات الافريقية هى الوحدات التى تنصب فيها الدولارات •

ويوضح الجدول (٣) أهم عشرة دول أفريقية فى تجارة أمريكا الخارجية مرتبة تنازليا :

جدول (٣)

أهم عشرة دول أفريقية فى تجارة أمريكا الخارجية

١٩٥٢ - ١٩٥٦

المتوسط مقدرا بآلاف الدولارات

الصادرات		الواردات	
اتحاد جنوب أفريقيا	٢٣٤ر٤٧٧	اتحاد جنوب أفريقيا (×)	٩٨ر٨٢٢
مصر	٧٠ر٤٥١	الكونغو البلجيكى	٩٨ر٧٢١
الكونغو البلجيكى	٥٧ر٨٠٢	غانا	٦٠ر٣١٣
ليبيريا	٣٥ر٢٤٩	روديسيا ونياسالاند	٤٠ر٩٧٧
مراكش الفرنسية	٣٢ر٩٩٩	نيجيريا	٤٠ر٩٥٢
انجولا	١١ر٥٤١	شرق أفريقيا البريطانية (× ×)	٤٠ر١٣٧
نيجيريا	١٠ر٧٤٤	انجولا	٣٨ر٥٣٩
روديسيا ونياسالاند	١٠ر٦٧٦	ليبيريا	٣٤ر٨٦٠
		مصر	٣٢ر٥٨٣
		اثيوبيا	٢٨ر١٤٣

يوضع عمود الصادرات ترتيب الاسواق الافريقية المهمة بالنسبة لامريكا .

ويوضع عمود الواردات قيم المواد الخام .

ويتضح من ذلك أن اتحاد جنوب أفريقيا هو مركز تجارة أمريكا مع القارة، وأن المستعمرات الافريقية تصدر من المواد الخام لامريكا أكثر مما تستورده من أمريكا .

ويشير الجدول (٤) الى أهمية التجارة الخارجية الامريكية بالنسبة للدول الافريقية .

(×) لا تشتمل على حركة الذهب .

(× ×) كينيا - اوغندا - تنجانيقا .

جدول (٤)

النسبة المئوية لصادرات وواردات أمريكا

متوسط ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦

النسبة المئوية للواردات		النسبة المئوية للصادرات	
تانجير	٤٨	اثيوبيا	٤٧
اتحاد جنوب أفريقيا	١٩	تانجير	٤٥
الكونغو البلجيكى	١٥	انجولا	٣٦
ليبيريا	١٥	ليبيريا	٢٨
مصر	١٣	غانا	٢٥
انجولا	١٢	الكونغو البلجيكى	٢٣
موزامبيق	١٠	اتحاد جنوب أفريقيا (×)	١٤
اثيوبيا	٩	الصومال	١٣
الصومال الفرنسى	٩	شرق أفريقيا البريطانية	١٣
ليبيا	٨	مدغشقر	١٢
		روديسيا ونياسالاند	١١
		الكاميرون الفرنسى	١١
		نيجيريا	١١

ويستنتج من الجدول أن الدول الافريقية المستقلة تستورد من أمريكا بنسبة أكبر مما تستورد المسعمرات الافريقية · وخلال تلك الفترة كانت تانجير Tangiers تحت الاشراف الدولى ، أما أثيوبيا واتحاد جنوب إفريقيا ومصر وليبيا فكانت دولا مستقلة · وقد حصلت المستعمرات البرتغالية على ١٠ ٪ من مجموع وارداتها من الولايات المتحدة ·

وبصفة عامة يمكن القول أن أمريكا تعتبر مشترية أحسن منها بائعة للقارة الافريقية ، فمثلا نجد أن أثيوبيا باعت أكثر من نصف صادراتها لامريكا ، بينما حصلت فقط على ٩ ٪ من وارداتها من أمريكا · أما أنجولا فكانت النسبة فيها ٣ : ١ ، وغانا ٨ : ١ وشرق أفريقيا البريطانية ٦ : ١ ، ومدغشقر وروديسيا ونياسلاند ٤ : ١ ·

ويلاحظ للمرة الثانية أن المستعمرات الافريقية الاوروبية تصدر نسبة كبيرة من مجموع صادراتها الى أمريكا ·

ويوضح جدول (٥) تجارة المعدات والماكينات الامريكية مع أفريقيا ·

جدول (٥)

تجارة الماكينات والآلات المختلفة الأمريكية مع أفريقيا

المتوسطات مقدرة بآلاف الدولارات ١٩٥٢ ـ ١٩٥٥

أفريقيا المسلمة :						
مراكش	١٩٦٨	٣٧٣٦	١٧٧١	٢١١٤	٩٣٠٠	١٤٨
تانجير	٥٨٤				٥٨٧	
تونس	٢٧١	١٣٤١	١٠٩٠	١٥١١	١٦٥	
الجزائر	٥٩٨	٤٤٤٠	١٧٤٠	٢٦٤٣	٢٧٥	٤٢
مصر	١٧٩٠	٦٠٠٣	١٢١	١١٤١	٦٧٥٥	٤٣
أفريقيا السوداء :						
غانا		٨٧٨	٦٣٥	٣٦٢		
نيجيريا	٩٥	١٦٩٢		٣٨٨	١٣٨٠	
غرب أفريقيا الفرنسية	٦٣٣	٢٩٧٩	١٦١	١٣٢٣	٢٧١٦	
الكاميرون	١٦٦	١٢٨٤	٥١	٦٢٥	١٠٩٩	
	٥٥٣	١٨١٢	٩٩	٥٢٧	٣٦٠٤	
الكونغو البلجيكى	٣٨٢٣	١٣٨٠٩	١٣٨	١٧٠٤	١٥١٣	٦٣٦
ليبيريا	٦٣٧	١٨٠٠		٢٢٠	١٢١٧	
أفريقيا متعددة الاجناس :						
	١٢٥	٨١٢		٦٥	٦٧٨	٢٣
شرق أفريقيا البريطانية	١٢٨	١٦٥٢	٤٦٨	٢٠٠٣	٧٠٦	٥٥
موزامبيق	٢٤٣	١٨١٢		٣٩٢	٩٨٢	
مدغشقر	٩٩	٩٧٧	١٠٥	٦٨٩	٥٤٩	
أفريقيا البيضاء :						
اتحاد جنوب أفريقا	٩٢٠٥	٣٠٨٨٣	٤٤١٥	١١٦٢٥	٣٢٠٤٦	١٨٢٢
روديسيا ونياسالاند	٤١٤	٣٤٩٢	٢٦٧	١٠٣٣	٨٠٤	٤٦٥
المجموع	**٢١٣٦٢**	**٧٩٤٠٢**	**١٠٣٩٠**	**٢٨٦٣٨**	**٧٨٨٧٥**	**٣٣٤٨**

ولقد وجهنا اهتمامنا الى تلك البضائع بصفة خاصة لانهـا تمثل القسم الرئيسى من البضائع التى تصدرها الولايات المتحـدة الامريكية للخارج • فان المعدات الكهربائية والصناعية لازمة للبـلاد المتخلفة التى تسـعى وراء التصنيع وتطوير اقتصادياتها •

ويتبين من الارقام فى الجدول (٥) أن أمريكا تصدر الى أفريقيا البضائع اللازمة للصناعة والتصنيع بصفة خاصة • ويلاحظ أن اتحاد جنوب أفريقيا يستوعب الاغلبية من المعدات المصدرة يليها الكونغو وتأتى ليبيريا فى المرتبة الثالثة • وجدير بالذكر أن حصول ليبيريا على هـذه المرتبة فيـه شيء من التضليل وذلك لان كثيرا من البواخر ترفع العـلم الليبيرى بقصـد التمتع ببعض مميزات الضرائب التى تمنحها تلك الدولة •

وتذهب ٧٥ ٪ من مجموع صادرات أمريكا من المعدات الكهربائية الى اتحاد جنوب أفريقيا والكونغو البلجيكى ومصر والجزائر ومراكش على الترتيب • وتذهب نفس النسبة من المعدات الصناعية الى اتحاد جنوب أفريقيا والكونغو البلجيكى ومصر والجـزائر ومراكش وروديسيا ونياسالاند عـلى التوالى • ويذهب ٨٥ ٪ من صادرات أمريكا من المعـدات الزراعية الى اتحـاد جنوب أفريقيا ومراكش وتونس والجزائر •

وباختصار فانه لوطرحنا الكونغو البلجيكى جانبا نجد أن أفريقيا الواقعة تحت سيطرة الرجل الابيض وأفريقيا المسلمة تستقبلان الجزء الرئيسى من الصادرات الامريكية •

وعند تقديم هذه البضائع بالدولارات نجد أن السيارات والجرارات والسكك الحديدية هى التى تحتل مكان الصدارة • ويذهب ٨٠ ٪ من السيارات الى اتحاد جنوب أفريقيا والكونغو البلجيكى ومصر ومراكش •

ويمكن ترتيب المناطق تنازليا حسب حاجتها الى التقدم الصناعى كالآتى:

أفريقيا الواقعة تحت سيطرة الرجل الابيض •

أفريقيا المسلمة •

أفريقيا السوداء باستثناء الكونغو البلجيكى •

أفريقيا ذات الاجناس المتعددة •

ويتبين من هذا العرض لتجارة أمريكا مع أفريقيا أن الاخيرة تمثل جبهة تجارية لا يستهان بها ، فقد تصل التجارة الى ما قيمته بليون دولار سنويا، وقد تزيد هذه القيمة اذا أدخلنا في الحسبان التجارة الامريكية مع أفريقيا عن طريق الدول الاوروبية •

ثالثا ـ استغلال رءوس الاموال الخاصة :

يبذل المسئولون الامريكيون جهودا كبيرة لتشجيع استغلال رءوس الاموال الخاصة فى الخارج وذلك بغرض مساعدة الشعوب على رفع مستواها، ولمساندة السياسة الامريكية الخارجية •

ومع ذلك فان بعض الافريقيين لا يوافقون على أن الاموال الاجنبية تساعدهم فى شيء ، فقد أشار زعماء اتحاد الكاميرون الى أن الاموال الاجنبية قد تساعد المستوطن الاوروبى كما أنها تعود بالفائدة على صاحب المال ، ولكنها لا تمنح الافريقى ما يستحق الذكر •

وقد أشار H. A. Wjeschoff الى أن الاستغلال الاستعمارى يهدف من استغلال أمواله فى الخارج الى التخلص من رأس المال الزائد بتحويله الى تلك المناطق وذلك تلافيا لحدوث التضخم الاقتصادى وسعيا وراء الربح فى نفس الوقت •

وطبقا لـ S. Herbert Frank وصلت رءوس الاموال المستغلة فى أفريقيا فى الفترة من ١٨٧٠ الى ١٩٦٣ الى ٥٨٠ر٨٢٧ر٠٠٠ جنيهـا بما فى ذلك رءوس الاموال الامريكية •

وقد وصل الاستغلال الرأسمالى فى أفريقيـا عام ١٩٥٥ حوالى خمسـة أمثاله عما كان عليه ١٩٤٣ •

وطرحت نسبة كبيرة من هذه الاموال فى اتحاد جنوب أفريقيا • وتتركز معظم الاموال الامريكية فى أفريقيا الواقعة تحت سيطرة الرجل الابيض حيث وصل عدد الشركات الامريكية فيها الى ما يقـرب من خمسين شركة تشتغل معظمها فى صناعة البترول والتعدين •

أما أفريقيا المسلمة والسوداء وذات الاجناس المتعددة فلم يصبها الا القدر اليسير من هذه الاموال •

وعلى ضوء هذه الدراسة التحليلية للتجارة الامريكية مع أفريقيا يمكن الوصول الى النتائج الآتية :

أولا ـ في الجانب الامريكي :

١ ـ نجاح رجل الاعمال الامريكي في التأثير على الاقتصاد الافريقي بطريقة فعالة ، ويدل على ذلك التجارة السنوية بين أمريكا وأفريقيا والتي يقدر حجمها بحوالي بليون دولار سنويا ، واستغلال رءوس الاموال الامريكية في أفريقيا والتي تقدر بحوالي $\frac{3}{4}$ بليون دولار .

٢ ـ تعتبر تجارة أمريكا مع أفريقيا حيوية بالنسبة للاولى وذلك لكي تتمكن من الاحتفاظ بمستوى المعيشة التي وصلت اليه الآن .

٣ ـ لا بد من الاستمرار في بذل الجهود حتى تحتل أمريكا مركزا تجاريا أحسن مع أفريقيا .

ثانيا ـ في الجانب الافريقي :

١ ـ تحتل أفريقيا الواقعة تحت سيطرة الرجل الابيض مكان الصدارة في تجارة أفريقيا مع أمريكا .

٢ ـ تستورد أفريقيا نسبة لا بأس بها من البضائع الامريكية ، ولكن الاموال الامريكية المستغلة في هذه المنطقة ضئيلة بالنسبة للمنطقة السابقة .

٣ ـ تعطي أفريقيا السوداء ذات الاجناس المتعددة صورة ليست مشجعة، حيث أن نسبة ضئيلة من البضائع الامريكية تجد طريقها في هذه المنطقة. وفيما عدا الكونغو البلجيكي، يجد رجل الاعمال الامريكي أن هذه المناطق لا تشجع على الاستغلال الاقتصادي .

* * *

وعند هذه النقطة يثار السؤال مرة أخرى .

هل استفاد الافريقيون من كل ذلك ؟

الاجابة على ذلك بصفة عامة لا ... للاسباب الآتية :

١ ـ في أفريقيا البيضاء يقع الافريقيون تحت سيطرة الرجل الابيض الذي يحول بينهم وبين التقدم .

٢ ــ فى أفريقيا السوداء وأفريقيا ذات الاجناس المتعددة لا يحظى الافريقيون الا بالقدر اليسير من المنتجات الامريكية بسبب ضعف القوة الشرائية لشعوب تلك المنطقة ٠

٣ ــ فى أفريقيا المسلمة تتركز رءوس الاموال الاجنبية فى مناطق المستوطنين الاوروبيين فقط ٠

واذا نظرنا للقارة بمجموع نجد أن متوسط دخل الفرد فيها ظل ثابتا منذ عام ١٩٥٢ على رقم واحد وهو خمسون دولارا فى السنة ٠

وعلى ذلك فان التوزيع العادل للثروة ما زال أساس المشكلة فى أفريقيا، فانه على الرغم من النشاط الاقتصادى المتزايد فى هذه القارة ، الا أن النذر اليسير يصل الى من هم فى أشد الحاجة الى الاخذ بيدهم من مذلة الفقر والمرض ٠

وان هذا التحليل الاقتصادى ليبين بوضوح أن التجارة ورءوس الاموال الامريكية يمكن أن تكون أكثر ازدهارا فى أفريقيا المستقلة النامية٠ وسيأتى اليوم الذى يتبين فيه للجميع أن أكثر الاسس الاقتصادية حكمة هى التى ستعتمد على الاخذ بيد الافريقيين ٠


Bibliotheca Alexandrina
0392382